العيون والجاسوسية في عصر النبوة

الدكتور/ سليمان بن عبد الله السويكت

قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص

العينُ (الجاسوس) كان موضعَ اهتمام منذ القدم وعند معظم الأمم. وفي عصر النبوة تجلّى ذلك الاهتمام بصورة واضحة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومناوئيه قبلَ الهجرة وبعدها. لكن الاستخدام الأظهرَ كان بعد بدء الجهاد المسلح بين الطرفين. فتتبّع البحثُ هذه الظاهرة وفقَ الترتيب التاريخي لأنه أدق في استقراء الأحداث ، ولأنه يُظهرُ مدى التوافق أو الاختلاف بين جزئيات البحث السابقة واللاحقة . فصُدِّر بعد التعريف اللغوي ببعض الأوصاف المستحبة في العين . ثم استخرج من مرحلة الدعوة المكية الحالات التي تندرج تحت إطار هذا الموضوع . ثم اقتفى الغزوات والسرايا التي استخدمت فيها العيون من قِبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من قِبل أعدائه . فتوقف عند الغزوات الكبرى: كبدر وأحد، والأحزاب والحديبية، وفتح مكة وحنين . مفصلاً الحالات التي أذكيت فيها العيون من قبل أطراف النـزاع . وتخلل ذلك وقفات عند بعض السرايا التي كان للعيون فيها آثار ظاهرة . ثم توقّف عند قبيلة خزاعة الموالية للرسول صلى الله عليه . وفي الخاتمة أبرز البحث أهم النتائج التي توصل إليها . ومن ذلك الوقوف على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الاستفادة من العيون ، أوتعمية الأخبار ، وأثر العيون في بناء الخطط السليمة للمواجهة وامتلاك زمام المبادرة ، والتحرز من العدو ، أو الخروج من الأزمات المحدقة . ويلمح الناظر هنا محاولةَ استجلاءٍ دقيقٍ لمواقفَ مختلفة للعيون من حالات النجاح والفشل في الميادين التي خاضوها بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين خصومه .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى وسلم على رسوله وآله ومن سار على نهجه واتبع هداه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فموضـوع العيون واستخدامها في الحروب كان منذ القدم وعند معظم الأمم ، فكل طَرف يعمدُ إلى تجسس الأخبار، واستطلاع الأسرار ذات العلاقة بعدوه ، ليقابل تدبيره بتدبير ، ومكره بمكر . وكلما كان أمر الجواسيس محكماً، وتمكن القائد من كتمان سره عن عيون عدوه ، وتمكنت عيونه من التوصل إلى أسرار عدوه كان الظفر والنجاح إليه أقرب . وتأتي أهمية العيون في الحروب من كونها تستخبر حال العدو قوة وضعفاً ، ثم تضع ذلك أمام صاحبها وتُجَلِّيه ، فتُبنى خطط الحرب على علم ومعرفة بحال

الطرف الآخر. ولعظم خطر العين كان يُختار بعناية ، ويَتَحَرَّزُ منه الأعداءُ ، ويُبحثُ عنه في مظان وجوده بدقة ، وهو بين أمرين ؛ إما الوصول إلى المراد من العدو ، وإما القبض عليه ، وهو في هذه الحال بين خيارين مُرَّين ، إما إفشاء السر وإما القتل .

ولما كنت من المهتمين بسيرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم تستهويني قراءة ودراسة وتتبعاً ، ولم أجد مثل هذا الموضوع في المكتبة التاريخية الحديثة، ورأيت أن استخدامه للعيون في حروبه التي خاضها ضد أعداء الدعوة ، واعتماده السرية والكتمان في كثير من شؤونه أمر يلفت نظر الباحث المدقق في مصادر سيرته ، قمت باستقراء ما تيسر لي منها ومن غيرها ، وكان كتاب المغازي للواقدي من أكثر المصادر اهتماماً وإفاضة بذكر ماله علاقة بهذا الجانب – وهكذا الواقدي رحمه الله تعالى في اهتماماته المتميزة في كثير من مباحث السيرة – .

وكان عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حلقة صغيرة من حلقات التاريخ استخدمت فيها العيون بينه وبين مَنْ كادوا له وأخرجوه قسراً من قريته التي أحبها ، ثم لم يتركوه، بل نصبوا له الحرب، فاستعان بالله عليهم فكان له التأييد والظفر ، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه عندما ينتدبهم إلى وجه من الوجوه بأخذ الأدلاء وتقديم العيون والطلائع أمام الجيوش (الواقدي ، د . ت : ٣/ ١١١٧) ليكونوا على هدى وفي حرز من تسلل العيون إلى الصفوف وهو في تطبيقه العملي كان يسير وفق هذا التوجيه .

وقد نهجت في تنظيم مادة هذا البحث بحسب الترتيب التاريخي ، لأنه أدق في تتبع الأحداث، ويُظهر مدى التوافق أو الاختلاف بين جزئيات البحث السابقة واللاحقة، فصدّرت البحث بعد التعريف اللغوي ببعض الأوصاف المستحبة في العين، ثم استقرأت مرحلة الدعوة المكية، فذكرت الحالات التي تندرج تحت إطار هذا الموضوع ، وبعد

الهجـرة تتـبعت الغـزوات والـبعوث الـتي استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم فيها العيـون ، أو استخدمها أعداؤه ، فتوقفت عند الغزوات الكبرى ؛ كبدر وأحد، والأحزاب والحديبية، وفتح مكة وحنين ، وتخلل ذلك وقفات عند بعض السرايا التي كان للعيون فيهـا آثـار ظاهـرة ، ثم توقَّف البحث عند قبيلة خزاعة الموالية للرسول صلى الله عليه وسلم ، والذين اتخذ منهم عيوناً ، وكانوا هم له جواسيس على أهل مكة .

هـذا وأســأل الله تعالى العون والتسديد، وإخلاص العمل بفضله ومنِّه، وصلى الله وسلم وبارك على الرسول الخاتم .

التعريف اللغوي :

كـلمة (العَيْـن) في اللغة العربية من الكلمات ذات المعاني الكثيرة الواسعة ، حتى إن بعـض عـلماء الـلغة ذكرلها ما ينيف على مائة معنى (الزبيدي ، ١٤١٤ هـ :١٨/ ٤٠٠)، فأشـهرها حاسـة البصـر والـرؤية ، وجمعها أعْيُن و أعيَان و عُيون ، وجمع الجمـع أعْيُنَات (ابن سيده ، ١٤٢١ هـ : ٢/ ٢٨٤) [١] . أما في بحثنا فالمقصود بالعين [الجاسـوس] تشـبيهاً بالجارحة في نظرها (الزبيدي ١٤١٤ هـ : ١٨/٢٠٤) ، وهو يذكَّر ويؤنث (ابن سيده ١٤١٤ هـ : ٢/ ٢٤٩) ، ويسمى ذا العُيَيْنَتَيْن و ذا العُوَيْنَتَيْن بمعـنى واحد (الفراهيدي ، ١٣٨٦ هـ : ٢/ ٢٥٥) . يقال بعثنا عَيْناً يَعْتَانُنا ، ويَعْتَانُ لنا ، أي يأتينا بالخبر (ابن سيده ١٤٢١ هـ : ٢/ ٢٥٠) .

فالعين إذن هو الذي يُبعث لينظُر للقوم ويتجَسَّسَ الخبر ثم يأتي به (الفراهيدي ١٣٨٦ هـ: ٢/ ٥٥)[٢] والتجَسَّسُ هو تَفَحُّصُ الأخبار والبحثُ عنها وتَطَلُّبُها، (الزبيدي ١٤١٤ هـ: ٨/ ٢٢٤)، وكذا التَّحَسُسُ ، يقال: تَحَسَّسْتُ من الشئ ، أي تخبَّرت خبره ،

(١) و(ابن منظور، ١٤١٤ هـ : ٣٠١/١٣).
(٢) ابن سيده (١٤٢١ هـ) : ٢٤٩/٢ ؛ ابن منظور ، (١٤١٤ هـ) : ٣٨/٢.

(الجوهري ، ١٤١٨ هـ : ١/ ٧٢٩) ، وقيل : التَجَسُّسُ هو ما يطلبه لغيره ، والتحَسُّسُ هو ما يطلبه لنفسه ،(الزبيدي ١٤١٤ هـ : ٨/ ٢٢٤).

وهناك أسماء مرادفة للعين [الجاسوس] من حيث المعنى العام ،لها معان متقاربة، ولكن قد يختص بعضها بمعنى دقيق؛ كالطَّلِيْعَة[١]، والرَّبِيْئَة[٢]، والرَّقِيْب [٣]، والنَّفَضَة [٤] ، والشيِّفَة [٥] ، والبَغِيَّة [٦] ، والمَسْلَحَة [٧] .

الصفات المرغوبة في العين :

لا بد لمن يقوم بهذه المهمة أن يكون متميزاً ببعض الصفات التي تساعده على النجاح في مهمته، و مواقفه المختلفة، ومن أهمها: أن يكون حديدَ النظر (الواقدي د . ت: ٢/ ٥٦٤) ، سريعَ العدو (الواقدي د .ت : ٣/ ٩٨٥)، قليلَ الخوف، بل من أجمع الناس قلباً، (الواقدي، د . ت : ٥٦٣) و أن يكون ممن يوثق بصدقه ونصحه ، (الهرثمي ، د . ت : ٢٤) صبوراً على اللأواء والشدة (ابن سعد ، د . ت : ٢/ ١٢٤) حَذِراً من كشف نفسه ، فلا يَعرِفُ الناسُ عنه أنه عين (الهرثمي، د . ت : ٢٤)، وقد يحتاجُ إلى التنكُّر في بعض الأحيان لإيهام العدو (الواقدي، د . ت : ١/ ٤٠٥)، حسنَ التخلص في المواقف الحرجة (الواقدي، د .ت : ٢/ ٤٦١)، دقيقاً في أخذ المعلومات مع

---

[١] الطَّلِيْعَة : قوم يبعثون ليطّلعوا طِلْعَ العدو ، والطلائع : الجماعات في السريَّة يوجهون ليطالعوا العدو ويأتون بالخبر. الفراهيدي (١٣٨٦ هـ) :٢/ ١٢ ؛ ابن منظور (١٤١٤ هـ) : ١١/ ٣٢٣

[٢] الرَّبِيْئَة: الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه. ابن منظور (١٤١٤ هـ): ١/ ٨٨ .

[٣] الرقِيْب: الحارس الذي يوفي على علم أو رابية أو مرتفع من الأرض لينظر من بُعد. ابن منظور (١٤١٤ هـ) : ١/ ٤٢٥ ؛ الزبيدي (١٤١٤ هـ) : ٢/ ٣٠ .

[٤] النَّفَضة: الجماعة يبعثون في الأرض متجسسين ، ينفضون الطريق ، لينظروا هل فيها عدو أو خوف ، الواحد النَفِيْضة. الجوهري (١٤١٨ هـ): ١/ ٨٦٧ ؛ ابن سيدة (١٤٢١ هـ) : ٨/ ٢١٠ ؛ ابن منظور (١٤١٤ هـ) : ٧/ ٢٤١ .

[٥] الشيِّفَة: شيفة القوم طليعتهم الذي ينظر لهم ويشتاف . الجوهري (١٤١٨ هـ): ٢/ ١٠٥٩؛ ابن منظور (١٤١٤هـ): ٩/ ١٨٥٤ .

[٦] البغِيَّة: الطليعة تكون قبل ورود الجيش . الجوهري (١٤١٨ هـ) : ٢/ ١٦٦٣ ؛ ابن منظور (١٤١٤ هـ) : ١٤/ ٧٨.

[٧] المسْلَحة : قوم ذوو سلاح يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة . الزبيدي (١٤١٤ هـ) : ٤/ ٩٢ .

الحذر الشديد (ابن هشام ، ١٤٠٩ هـ : ٤/١١٧) [١]، وألا يُحدثَ حدثاً في أرض العدو، (مسلم ، ١٤١٩ هـ : ٧٩٧) ، وأن لا يعرف العيونُ بعضهم بعضاً ، لأنهم قد يُمالئون العدو ، أو يورِّط بعضهم بعضاً (الهرثمي، د . ت : ٢٤)، ولذلك يضعون على الجواسيس جواسيس .

وخصَّ الهرثميُّ الطلائعَ الذين يتقدمون الجيش على خيولهم بأمور، فإضافة إلى كونهم من أهل النصح والثقة والنجدة والتجربة في الحرب ، مع العقل وحسن التدبير والصدق والجسارة والحذر، إضافة إلى هذا لابد أن يكونوا مُتخفِّفينَ من لباس الحرب والأمتعة إلا ما لا بُدّ منه ، وليس عليهم إلا أن يَأتوا بالخبر ، ولا يباشروا لقاءً مع العدو إلا عن ضرورة ، وأشار إلى المسافة التي تكون بينهم وبين العدو ، وطريقة سيرهم وركضهم بحسب طبيعة الأرض ، ثم أكد على ضرورة إيصال المعلومات إلى صاحب الجيش سراً ، وإذا لم يتمكنوا من الوصول إليه تكون بينهم رموز وعلامات يعرف بها المراد من بُعد (الهرثمي، د . ت : ٤٨ – ٥٠) .

ملامح من العهد المكي

لعل من غير اللافت لنظر كثير من القراء أن المرحلة المكية – وهي مرحلة لم يكن فيها قتال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين خصومه من قريش – لم يظهر فيها أثرٌ لاستخدام العيون بين الطرفين ، أو تعتيمٌ وحجب كل منهما أخباره عن الآخر ، لكن حقيقة الأمر غير ذلك ؛ فالمتأمِّلُ في تاريخ المرحلة الأولى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تسمى بالمرحلة السرية ، تلك التي لم يقف عندها مؤرخو السيرة طويلاً مع أنها استمرت ثلاث سنوات ، يلاحظُ أن نشاط الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) و الواقدي (د . ت) : ٣/٩٨٤

الدعـوي فيهـا كـان محاطـاً بالسرية والكتمان ؛ فقد كان ينتخبُ الأفرادَ الذين يُفضي إليهـم بأمر الإسلام من أولئك الذين يَتوسَّمُ فيهم القبول وعدم إفشاء السر ، لرجاحة عقولهـم وكمـال أحلامهم . ومما يؤكد حرصه على أن يظل أمر الدعوة بعيداً عن سمع رجـال الملأ من قريش وبصرهم أنه عندما عرض على علي بن أبي طالب – رضي الله عـنه – الإسلام فأراد علي أن يستأمر أباه ، لصغر سنه ، قال له ما معناه : ياعلي إذا لم تسلم فاكتم ، (ابن كثير ، ١٩٧٤ م : ٣/ ٢٤) .

ثـم إنـه اتخـذ دار الأرقـم بن أبي الأرقم [١] ، القريبة من الصفا – حيث الحركة الدؤوب في السعي ، فلا يستغرب الداخل إلى هذه الدار ولا الخارج منها في أنظار قريش – مكاناً للقيا المسلمين وتعليمهم (ابن هشام، ١٤٠٩هـ : ١/ ٤٢٦) [٢] .

أمـا مـن أراد الصـلاة فعـليه بالأودية والشعاب النائية عن مكة ، فتؤدى الصلاة هناك بأمان واستخفاء تام عن أعين المشركين (ابن هشام، ١٤٠٩ هـ : ٣٢٦) . وهذا كلـه مـن أجـل أن تنطـلق الدعـوة باطمئـنان وهـدوء بعيداً عن الجدل مع المخالفين ، وترسيخاً للقواعد والجذور على أسس ثابتة متينة .

وفي إطـار هذه السرية كان تحرك المسلمين وتعاملهم مع الآخرين خوفاً من عيون قـريش ، وحـتى بعـد الجهـر بالدعوة فلم يكن أحد من المسلمين يبوح بشيء من أمر الرسـول صـلى الله عـليه وسـلم بحضرة أحد من المشركين حتى ولو كانوا من ذوي القـربى ؛ فمـثلاً هـذه فاطمـة بنت الخطاب – رضي الله تعالى عنها[٣]– لم تُفضِ أمام

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم (عبد مناف) بن أسد بن عبد الله المخزومي ، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو في مرحلة شبابه ، هاجر وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة ٥٥هـ تقريبا ، وله بضع وثمانون سنة . (ابن سعد ، د. ت : ٢٤٢/٣ وما بعدها) ؛ (الصفدي ، ١٣٩١هـ : ٣٦٣/٨-٣٦٤)

(٢) وابن كثير (١٩٧٤م): ٧١/٨ .

(٣) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل العدوي ، أخت عمر ، وزوجة سعيد بن زيد ، كانت من السابقات هي وزوجها إلى الإسلام ، لقبها أميمة ، وكنيتها أم جميل . ابن سعد (د. ت) : ٢٦٧/٨ ؛ (ابن حجر ، ١٣٢٨ هـ : ٣٨١/٤) .

والـدة الصـديق [١] يوم كانت على الشرك بأي خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم حـتى طمأنها أبو بكر رضي الله عنه بقوله : " لا عين عليك من أمي " (المحب الطبري، د . ت : ١/ ٨٦)[٢] .

إن حـرص رجـال المـلأ مـن قريش على أن تظل الأوضاع القديمة سائدة جعلهم ينشـطون في التضـييق عـلى الرسـول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من خلال تتبع حركاتهم وسكناتهم ليبقى لهم تميزهم على سائر الناس .

واستمروا في عداوتهم ومتابعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فلما كان الموسم الـذي بـايع فيـه الأنصار - رضي الله عنهم - بيعة العقبة الثانية أذكت قريش العيون بغـرض معـرفة اتصالاته وتنقلاته ، وحضر معه البيعةَ عمُّه العباس بن عبد المطلب ، لشـد أزره والـتمكين لـه ، وكـان عارفـاً بمـا يُدَبِّر القومُ ، فقابل مكرهم بمكر آخر ؛ فاسـتخدم العيـون على طرفي المكان الذي تمَّتْ فيه البيعة (الحلبي ، ١٤٠٠ هـ : ٢/ ١٧٤) للترصُّـد عـلى عيـون قريش حتى لا تصل إلى المكان ، ثم أمر المبايعين بإخفاء الصـوت [٣] ، وإيجـاز الخطـبة [٤] لتمام السرية ، وعدم الانفضاح أمام العيون . لكن إبليسـاً - لعـنه الله - سـاءه ذلـك التدبير والنجاح، فنصب نفسه عيناً لقريش، فأعلن بالصياح بعد تمام البيعة ، وو صل الخبر إلى السادة بما كان. (ابن هشام، ١٤٠٩ هـ: ٢/ ١٣٧).

---

(١) هي أم الخير سلمى بنت صخر من بني تيم ، أسلمت قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وبايعت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ماتت بعد ابنها أبي بكر و قبل زوجها أبي قحافة ، ولم تُعيَّن سنة وفاتها . (ابن عبد البر ، ١٤١٥ هـ : ٤/ ٤٨٨) ؛ (المحب الطبري ، د.ت ١/ ٨٤) ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٤/ ٤٤٧ .

(٢) و ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٤/ ٤٤٧ وكان ذلك بعد أن ضُرب أبو بكر من قريش ضربا مبرحاً في القصة الطويلة التي أوردها (ابن كثير ، د . ت : ١/ ٤٣٩-٤٤١) . وفي القصة أنهما خرجتا به يتكئ عليهما إلى حيث الرسول صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، وذلك بعد أن هَدأتْ الرِّجْلُ وسكنَ الناس .

(٣) فكان مما قال : " يا معشر الأنصار أخفوا جَرْسَكُم ، فإن علينا عيوناً " أي صوتكم . ابن سعد (د . ت) : ٤/ ٨ .

(٤) فكان مما قال : " ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا " ، ابن سعد (د . ت) : ٤/ ٩ ؛ (ابن أبي شيبة ، ١٤٢٠ هـ) : ٤٦٥

ولما نَفَذَ القضاءُ، ورأى رجال الملأ من قريش أن الأمر قد خرج من أيديهم، ورأوا نتائج بيعة العقبة الثانية أفواجاً من المسلمين تغادر مكة مُيممة صوب المهاجَر الجديد أفزعهم ذلك ، وخشوا من لحوق الرسول صلى الله عليه وسلم بهم، فسارعوا إلى الاجتماع في دار الندوة لتدبُّر الموقف ، وقرروا ما قرروه في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم .. ويلفت النظر في تدبيرهملهذا الاجتماع إحاطتهم إياه بالسرية ، وعدم السماح لأحد ممن يُتَّهم بموالاة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة بحضوره (القسطلاني ، ١٤١٢ هـ : ١/ ٢٨٥) ، فضلاً عن بني هاشم ، ولذلك لما حضر معهم إبليس مشاركاًلهم في الرأي ، قال : إنه من أهل نجد ليبعد عن نفسه مثل هذا الاتهام (ابن هشام ، ١٤٠٩ هـ : ١٣٧)، ولهذا اطمأنوا ، وقال بعضهم : " ليس عليكم من هذا عين " (الزهري ، ١٤٠١ هـ : ١٠٠) [١] ، لأن أعراب نجد مباعدون للدعوة وصاحبها ، وكل هذا خوفاً من أن ترصد عينٌ ما يجري ، فتنقله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيفسد التخطيط ، لكن عين العليم الخبير كانتلهم بالمرصاد ، فجاء الخبر سريعاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرُه بعدم البيات على فراشه ، ويأذنُ له في الهجرة إلى المدينة ، فيتوجَّه صلى الله عليه وسلم إلى بيت الصديق – رضي الله عنه – في نَحْرِ الظهيرة ، مُتَقَنِّعاً (البخاري ، ١٤١٧ هـ : ١٢٤٥) ، في ساعة تخلو الأسواق فيها من المارة من شدة الحر ، وذلك كله إمعاناً في التعمية على عيون قريش ، فلما وصل إلى بيت أبي بكر – رضي الله عنه – طلب منه أن يُخْرِجَ مَنْ عنَده (الزهري، ١٤٠١ هـ : ٩٩) وقال : "يا أبا بكر هل علينا من عين " (أحمد بن حنبل ، ١٤٠٣ هـ: ١/ ٣٨٨)، فيردُّ أبو بكر : " لا عين عليك " [٢] .. يلاحظ هنا التيقظ الشديد والتحرُّزُ عند البوح بسرِّ الهجرة إلى أبي بكر، خشية من عين راصدة من المشركين لتحركاته لمعرفة ما أزمع

(١) ؛ الحلبي (١٤٠٠) : ٢/ ١٩٠

(٢) كما في رواية موسى بن عقبة التي أوردها ابن حجر (د.ت) : ٧/ ٢٣٥ ؛ والحلبي (١٤٠٠ هـ) : ٢/ ١٩٩ .

عليه ، ثم يلاحظ أنه لما أخبره بالإذن له في الخروج والهجرة لم يبين الوجهة التي سيتوجه إليها . وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه اليقظة والحرص الشديد يُؤطِّرُ منهجاً للأمة المسلمة بعده في اتخاذ كل الأسباب التي تعين على النجاح عند المهمات الصعبة .

ويرتِّبُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم وصاحبُه أمرَ الهجرة ، ومن ذلك الترتيب أن يتسمَّع عبد الله بن أبي بكر – وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ – على قريش ما تكيد به النبي صلى الله عليه وسلم فينقله إليهما في الغار عندما يختلط الظلام [1] (البخاري، ١٤١٧هـ : ٨٠١)، ومكثا في الغار ثلاثة أيام حتى هدأ الطلب وخفت العيون ، فأخذوا طريقاً جديداً في الهجرة غير معروف ، احترازاً من قريش وعيونها والموالينلها .

في المدينة النبوية

وما هي إلا أيام؛ وإذا بالرسول صلى الله عليه وسلم في أحضان بلده الجديد مقيماً لشريعة الإسلام ودولته على أرض الواقع ، لكنه أصبح محاطاً بأعداء كثيرين ؛ فقريش تتربص به في مكة ، وقبائل عربية أخرى خارج المدينة كانت موالية لقريش بسبب ارتباطها بمصالح مادية وعقدية معها ، فكان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشمِّر في التحري عن هؤلاء الأعداء جميعاً لرصد نشاطهم ، ثم مواجهة كل منهم بما يناسبه . وبحكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحزمه تمكَّن في السنوات الأولى من الهجرة أن يعقد محالفات وموادعات مع بعض القبائل التي تقطن حول المدينة ، أو على طريق تجارة قريش ؛ فوادع بني ضَمْرَة في غزوة وَدَّان [الأبْوَاء] [2] ، وبني

---

(1) معنى ثَقِف: أي ذو فطنة وذكاء ، ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، و لقِن : أي فهمٌ ، حسن التلقن لما يسمعه (ابن الأثير [أبو السعادات]، ١٤١٨هـ) : ٢١١/١ ، ٢٢٨/٤

(2) ودّان : قرية اندثرت ، موضعها شرق مستورة إلى الجنوب على مسافة اثني عشر كيلا . والأبواء : واد من أودية الحجاز التهامية كثير المياه والزرع ، يسمى اليوم وادي الخُرَيْبة . (البلادي ، ١٤٠٢ هـ : ١٤ ، ٣٣٢) . وقد

مُدلج في غزوة ذي العُشَيْرة [1]، كما استطاع أن يكسب إلى صفِّه جُهَيْنة وخُزَاعة وغفَار وأَسْلَم، (ابن كثير ، د . ت : ٢/ ٣٦٤)[2] . ولا شك أن هذا يعدُّ انتصاراً للدعوة ؛ فإنْ لم يكن هؤلاء عيوناً للمسلمين يزودونهم بأخبار المشركين وتحركات قوافلهم ، فعلى الأقل يلتزمون جانب الحياد، فلا يكونون عيوناً عليهم.

ثـم بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم باتخاذ الخطوات المناسبة للتعامل مع كفار مكـة الذين أخرجوه من أحب البلاد إلى الله (الترمذي ، د . ت : ٥/٧٢٢) ، بالتضييق عـليهم في أمـر تجـارتهم الـتي تمثل عَصَبَ الحياة بالنسبةلهم ، فأخذ يتتبّعُ من خلال عيونـه حـركاتِ قوافـلهم الـتجارية المـتجهة صـوبَ الشـام ، ومن ثم يرسل السرايا والبعوثَ لاعتراضـها ؛ كما في سرية حمزة بن عبد المطلب نحو سيف البحر [3] ، وسرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار [4]، وسرية الخَبَط ، (البخاري ١٤١٧ هــ: ٨٩٧) [5]، أو تُرسـل السـرايا لرصـد حـركة العير وتَحَسُّس خبر القوم كما في سرية عبد الله بن

كان خروج الرسول صلىالله عليه وسلم إلى هذه الغزوة في شهر صفر سنة ٢ هـ . ابن هشام (١٤٠٩ هـ) : ٢/ ٢٧٥

(1) ذو العُشيرة :قرية كانت عامرة بأسفل ينبع النخل مما يلي الساحل. البلادي ، (١٤٠٢ هـ): ٢١٠ . وكان خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليها في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٢ هـ . ابن هشام (١٤٠٩ هـ) : ٢٨٥/٢

(2) (أحمد ، ١٤١٢ هـ : ٣٢٧) ويؤيد تلك الموادعات ما قاله صفوان بن أمية : " وأهل الساحل قد وادعهم – يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- ودخل عامتهم معه فما ندري أين نسلك " الواقدي (د. ت) : ١٩٧/١

(3) وكانت بعد سبعة أشهر من الهجرة . الواقدي (د.ت) : ٩/١ ؛ ابن سعد (د.ت) : ٦/٢

(4) كانت في شهر ذي القعدة من السنة الأولى . الواقدي (د.ت) : ١١/١ ؛ ابن سعد (د.ت) : ٧/٢ . والخرار : هو وادي الجحفة يقع شرق رابغ قرابة ٢٥ كيلاعند غدير خُمّ . البلادي (١٤٠٢ هـ) : ١١٢

(5)هذا وقد ذكر الواقدي (د.ت) : ٦/١ أنها كانت في رجب سنة ٨ هـ ، وهذا وَهْمٌ ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخرج بعد الحديبية - التي كانت في ذي القعدة من السنة السادسة – لاعتراض أي قافلة لقريش ، لأنه نقض للصلح ، و اعتراضه لهذه القافلة ثابت في الصحيح، فتكون إذاً قبل الحديبية قطعاً . وسميت الخبط بذلك، لأنه أصاب المسلمين جوع شديد فأكلوا الخبط ، وهو : ورق الشجر إذا ضرب بالعصا ليسقط . انظر ابن سعد (د.ت): ١٣٢/٢ ؛ الجوهري (١٤١٨ هـ) : ٨٧٦/١.

جحش إلى نخلة [1]، و أحياناً يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه لاعتراض عيَرَاتهم [2] على ضوء تحرياته وأخبار عيونه ؛ كما في غزوة وَدَّان (الواقدي، د.ت : ١ / ١٢)[3] ، وبُواط [4] ، و ذي العُشَيْرة (الواقدي، د.ت : ١ / ١٢-١٣) [5] .

واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا النهج في رصد عير قريش ، وتتبعها والتضييق عليها [6] ، حتى وقَّع معهم هدنة الحديبية ، وبعدها لم يرصدلهم عيراً ، لأنه صار زمن أمن وهدنة إلى حين فتح مكة (ابن القيم، ١٤٠٧ هـ : ٣/ ٣٩٠).

غزوة بدر

من الثابت تاريخياً أن سبب غزوة بدر هو خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لاعتراض إحدى قوافل قريش التجارية ، واستنجاد رئيس هذه القافلة وهو أبو سفيان ابن حرب بقريش عندما أحس بالخطر من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . تلك القافلة هي التي خرج صلى الله عليه وسلم لاعتراضها أول ما خرجت من مكة فيما عرف بغزوة ذي العُشَيْرة ، ففاتته ولم يشعر أصحابها بخروجه ذاك إلا بعد أن وصلوا إلى الشام ، عندما أخبرهم عين من جذام بأنه عرضلهم في بدء خروجهم ، وأنه ينتظر عودتهم ، وحَذَّرهم منه على أموالهم ، خاصة بعد أن شاهد هذا الرجل قلة

---

(1) كانت في رجب سنة ٢ هـ . الواقدي (د.ت) : ١٤/١ و ١٦ ؛ ابن سعد (د.ت) : ١٠/٢ . ونخلة : يقصد بها هنا نخلة اليمانية ، المعروفة اليوم ، لأنها على الطريق القديم بين مكة والطائف ، وما كانت القوافل تسير إلا بينهما . البلادي (١٤٠٢ هـ) : ٣١٧

(2) عيَرَات :جمع عيْر ، وهي الإبل التي تحمل الميرة . الجوهري (١٤١٨ هـ) : ٦١٩/١

(3) و ابن سعد (د.ت) : ٨/٢

(4)كانت في شهر ربيع الأول سنة ٢ هـ. الواقدي (د.ت) : ١٢/١ ؛ ابن سعد (د.ت) : ٨/٢-٩ . وبُواط: اسم لأودية تصب غرب المدينة . البلادي (١٤٠٢ هـ) : ٥٠

(5) و ابن سعد (د.ت) : ٩/٢-١٠

(6) يعبر عن ذلك قول صفوان بن أمية : " إن محمداً وأصحابه قد عوَّروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، لا يبرحون الساحل " الواقدي (د.ت) : ١٩٧/١

أصحاب القافلة وضعف استعدادهم . ويؤكد ذلك شاهدا عيان كانا مشاركين في هذه القافلة وهما : مَخْـرَمَة بـن نَوْفل وعمرو بن العاص (الواقدي، د.ت : ١/ ٢٨) [١] . عندئذ استأجر أبو سفيان رجلاً ليخبر قريشاً بأسرع وقت بتعرض قافلتهم للخطر ، ويطلب منهم التحرك لإنقاذها ، مما كان سبباً في غزوة بدر (ابن سعد، د.ت : ٢/ ١٢-١٣).

يلفت الانتباه في سياق هذه الأحداث عدم معرفة أهل هذه القافلة بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم بدءاً ، مع حذرهم الشديد إثر استيلاء سرية عبد الله بن جحش على قافلتهم السابقة ، مما يدل على أن تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باستخفاء شديد عن العيون ، لكن مكثه قرابة شهر في ذي العشيرة أشاع خبر خروجه .

والغريب حقاً في مسألة بَثِّ العيون والتجسس على هذه القافلة التي تُعدُّ صيداً سميناً للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه [٢] ، والتي كانت سبباً لأعظم غزوة في تاريخ الإسلام اضطرابُ روايات أهل المغازي بصددها ؛ من ذلك اضطراب الروايات حول سبب ندب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج ؛ فقد ذكر عروة بن الزبير أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عدي بن أبي الزغباء وبسبس بن عمرو [٣]

---

(١) مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري ، سيد بني زهرة ، وأحد العارفين بالأنساب من قريش ، أسلم يوم الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، مات سنة ٥٤ هـ ، عن ١٥٠ عاما . انظر عنه (المصعب الزبيري ، ١٩٧٦ م : ٢٦٢) ؛ (الذهبي ، ١٤٠٢ هـ : ٢/٥٤٣) . عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، أبو عبد الله ، من أبطال قريش وفرسانهم المشهورين ، أسلم سنة ٨ هـ ، وعمل لعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم ، مات سنة ٤٣ هـ ، عن عمر يناهز ٩٠ سنة ، انظر عنه ، ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٣/٢٦٦ وما بعدها

(٢) لمعرفة ما في هذه القافلة من المال العظيم ، انظر الواقدي (د.ت) : ١/٢٧-٢٨

(٣) عدي بن أبي الزغباء (سنان بن سبيع) من جهينة ،حليف بني النجار من الأنصار ، شهد المشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه . انظر عنه ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٣/١٦٩ وما بعدها ؛ (ابن الأثير [أبو الحسن] ، ١٤١٨ هـ : ٣/٢٣٥) . أما بَسْبَسْ بن عمرو الجهني و يقال له : بُسَيْسَة ، وبَسْبسة ، حليف بني ساعدة من الخزرج، شهد بدرا وأحداً وليس له عقب . انظر عنه ابن سعد (د.ت) : ٣/٥٦٠ ؛ ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ١/٢٦٨ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن](١٤١٨ هـ) : ١/٢٠٦ ، وقال (النووي ، د.ت : ٨/ ١٠١) عن بسبس وبسيسة يجوز أن يكون أحد اللفظين اسماً له ، والآخر لقبا .

إلى العير عيناً له ، وعلى ضوء خبرهما استنفر المسلمين للعير (ابن الزبير ، ١٤٠١ هـ : ١٣١-١٣٢) ، وكذا روى موسى بن عقبة (البيهقي ، ١٤٠٥ هـ : ٣/ ١٠٢) [١]

لكنَّ بعثَ عدي وبسبس عينين عند أكثر أهل المغازي كان بعد خروجه من المدينة، بل يحدد ابن إسحاق أن انطلاقهما في هذا الشأن وهو قريب من الصفراء [٢] ، كما في (ابن هشام ١٤٠٩ هـ :٢/ ٣٠٤)[٣] . أما (الواقدي د.ت: ١٩-٢٠) فذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحيَّن انصرافَ العير من الشام ندب أصحابه للعير ، ولم يبين المستند الذي كان على أساسه الندب ، لكنه أشار بعد ذلك مباشرة إلى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد [٤] يتحسسان خبر العير، وكان ذلك قبل خروجه من المدينة بعشر ليال ، فسارا جهة الساحل حتى نزلا على كَشَد الجهني [٥] ، فأخفى أمرهما حتى مرت العير ، وعرفا كل شئ عنها. وقد كان أهل العير متخوفين فسألوه : "هل رأيت أحداً من عيون محمد ؟ " فنفى واستبعد وصولهم إليه!. ثم ذكر الواقدي رجوع طلحة وسعيد في اليوم الذي نازل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم قريشاً ببدر ، ومن هذا يظهرأن ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه

---

(١) وانظر ابن كثير (د.ت) : ٣٩١/٢ عن موسى بن عقبة أيضا .

(٢) الصفراء : اسم قرية ، وواد من أودية الحجاز الفحول ، فوق ينبع مما يلي المدينة . البلادي (١٤٠٢ هـ) : ١٧٦-١٧٧ .

(٣) والزهري (١٤٠١ هـ) : ٦٢ ؛ وابن سعد (د.ت) : ١٢/٢ .

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي ، أبو محمد ، من السابقين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ماعدا بدرا ، حيث كان في هذه المهمة المنوطة به ففاتته ، فضرب له الرسول بسهمه وأجره فيها ، وهو أحد الأجواد المشاهير ، قتل يوم الجمل . انظر عنه : ابن سعد (د.ت) : ٢١٤/٣ . سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، من السابقين وأحد العشرة ، شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما خلا بدرا ، حيث كان في هذه المهمة ، فضرب له بأجره وسهمه فيها ، توفي سنة ٥٠ هـ بالمدينة ،وهو ابن بضع وسبعين سنة . انظر عنه : ابن سعد (د.ت) : ٣٧٩/٣ .

(٥) كشد الجني كان ينزل النخبار من الحوراء وراء ذي المروة على الساحل ، وقد أجار طلحة وسعيدا ومكنهما من مبتغاهما ، وخرج معهما خفيرا حتى أمنا ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبره طلحة وسعيد بفعله معهما ، فحياه وأكرمه ، وعرض عليه أن يقطعه ينبع . الواقدي (د.ت) : ١٩/١-٢٠ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٥٢٧/٣.

للخروج للعير لا علاقة له بهذين العينين ، لأنه كان قبل رجوعهما . وكذا لم يحدد ابن إسحاق كما عند (ابن هشام ١٤٠٩ هـ ٢/ ٢٩٥) السبب الذي كان من أجله الخروج ، بل اكتفى بقوله : "لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم " .

ولكن الخبر اليقين عن سبب حثِّ الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج إلى قافلة أبي سفيان هو ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى (١٤١٨ هـ): ٨٠٥ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بُسَيْسَةَ عيناً ، ينظر ما صنعت عير أبي سفيان" ، ثم ذكر مجيئه وإخباره الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنده في البيت ، ثم قيام الرسول صلى الله عليه وسلم وحثّه الناس على الخروج سريعاً ، لمن كانت دابته حاضرة .

ومن هنا يستنتجُ أن بعث بسيسة أو بسبس عيناً كان مرتين ، بل ثلاثاً ؛ الأولى قبل انطلاق الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة ؛ خرج وعاد بالخبر وهو فيها ، وعلى ضوء خبره استحثَّ الرسولُ صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج . والثانية كانت بعد انفصال الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة ، وقطعه شوطاً في الطريق نحو بدر ، ومما يؤكد ذلك النصُّ الصريحُ في حديث مسلم على أن بعثه كان بمفرده – كما في البعث الأول – أما عند ابن إسحاق وغيره فكان معه عدي بن أبي الزغباء– كما في البعث الثاني–

وقد تحدَّث أهلُ المغازي والسير بالتفصيل عن هذا البعث الثاني ؛ وهو بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين " عيناً طليعة " (الزهري ١٤٠١ هـ: ٦٢) ؛ يتحسَّسان الأخبار عن أبي سفيان (ابن هشام، ١٤٠٩ هـ: ٣٠٤) ، وينظران بأيِّ ماءٍ هوَ ؟ (الزهري ، ١٤٠١ هـ : ٦٢)، وذلك لما اقترب من قرية الصفراء ،

فسارا في بلاد جهينة حتى نزلا على ماء بدر ، وعليها يومئذ مجدي بن عمرو الجهني[1]، فجاءا يستقيان من العين ، وفهما من حديث بعض الجواري وتصديق مجديٍّ لهما قرب وصول القافلة القرشية ، فانطلقا راجعين إلى الرسول صلى الله وعليه وسلم ، فلقياه عند عرْق الظَّبْيَة ، فأخبراه بما سمعا (الواقدي، د.ت ١/١/ ٤٠ [2]).

وتكاد المصادر تُجمع على ورود أبي سفيان نفسه متحسِّساً إلى ماء بدر في أعقاب انصرافهما وهو خائف وَجِلٌ من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، (البيهقي ، ١٤٠٥ هـ : ٣/ ١٠٣) عن موسى بن عقبة ؛ فيسألُ أبو سفيان مجديّاً : هل أحسست أحداً من عيون محمد (صلى الله عليه وسلم) ؟ (ابن سعد د.ت: ٢/ ١٣) ، ويخوفه من سطوة قريش إن كَتَمَ شيئاً يعرفه عن عدوه ، فيؤكِّد مجديٌّ نصحَه وعدمَ معرفته بما يتخوف منه ، إلا أنه ذكر له أمر الراكبين ومناخهما قرب الماء ، فأخذ أبو سفيان من البعر ففتَّه فلما رأى فيه النوى قال : هذه عيون محمد وأصحابه (الواقدي، د.ت: ١/ ٤١)، فنجا بالقافلة عندما أخذ بها طريق الساحل مبتعداً عن المسلمين .. ويلفت النظر مما سبق من بعث هذين العينين :

- إن خروجهما كان لتحديد موضع القافلة بأي ماءٍ هيَ ، بعد أن عُرف خروجها من الشام واقترابها .
- إن الزعماء وأهل الشأن قد يخرجون أحياناً بأنفسهم للتَّحَسُّس والتَبَحُّث ، كفعل أبي سفيان هنا ، و فعل الرسول صلى الله وعليه وسلم قبيل الغزوة .
- خفاءُ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه على مجدي الجهني يدلُّ على

---

(١) مجدي بن عمرو الجهني حجز بين المسلمين وكفار قريش في أول سرية كان عليها حمزة بن عبد المطلب عند سيف البحر ، وكان موادعا للفريقين ، ولما وفد قومه على الرسول صلى الله عليه وسلم امتدحه لموقفه من تلك السرية، الواقدي (د.ت) : ١/٩-١٠ ؛ وذكر (الزرقاني ، ١٤١٤ هـ : ١/ ٣٩٠) أنه لم يعلم له إسلام .

(٢) عِرْق الظَّبْيَة : موضع يأخذ في وادي السدارة على الطريق من المدينة إلى مكة قبيل الروحاء بثلاثة أكيال. البلادي (١٤٠٢ هـ) : ٢٠٤

حنكة الرسول صلى الله عليه وسلم في التحرك وتعمية الأخبار عن العدو .

- يُفهم من هذه الرواية أن مجدياً يميل بولائه إلى قريش ، بل ينصُّ صاحب الدرر (ابن عبد البر ، ١٤٠٣ هـ : ١٠٤) على أنه كان عيناً لأبي سفيان ، مع أنه في مناسبة سابقة كان محايداً (الواقدي، د.ت : ١/ ٩) .

- نباهة أبي سفيان عندما استدل على عيني الرسول صلى الله عليه وسلم.

ووفق خبر عيني الرسول صلى الله عليه وسلم - عدي وبسبس - عن القافلة سأل أصحابَه عن المكان الذي يُتوقع أن يتمَّ فيه الإلتقاء بهم ، فأُخبر أنه عند ماء بدر ، فسار نحوها (الزهري، ١٤٠١ هـ : ٦٣)[1] . لكنَّ خبَر خروجِ قريش ليمنعوا عيَرهم وصل إليه قبل أن يصل إلى بدر ، وهو في مكان قريب منها (ابن هشام، ١٤٠٩ هـ : ٢ / ٣٠٥)[2] ، ولم تحدد لنا المصادر كيف وصل إليه الخبر، ولا اسم الذي أداه إليه مع أهميته ، ويحتمل أنه من قبل بعض بني هاشم ، أو من المنتمين إلى بعض القبائل الموالية للرسول صلى الله عليه وسلم ،كخزاعة ، أو من عابر سبيل ، والله أعلم .

وإثرَ هذا خرج الرسول صلى الله عليه وسلم نفسُه مع أحد الصحابة [3] مُتَحَسِّسَاً، فلقي شيخاً يقال له : سفيان الضّمري [4] من أهل المنطقة فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، فأخبره عن مواقعهم الفعلية التي هم بها ، ولما فرغ قال : ممن أنتما؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء !! فَعُمِّيَ على الشيخ فلم يعرف مَنْ هما (الواقدي، د.ت : ١/ ٥٠)[5] .. هكذا أخذ منه الرسول صلى الله

([1]) والبيهقي (١٤٠٥ هـ) : ١٠٧/٣ عن موسى بن عقبة .

([2]) وابن سعد (د.ت) : ١٤/٢

([3])هذا الرجل هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كما عند ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٣٠٦/٢ ، أو قتادة بن النعمان الظفري ، أو عبد الله بن كعب المازني ، أو معاذ بن جبل رضي الله عنهم ، كما عند الواقدي (د.ت) : ٥٠/٢

([4]) سفيان الضمري : لم أجد له ترجمة في معاجم الصحابة أو كتب الرجال ، فربما أنه مات قبل أن يسلم

([5]) وابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٣٠٦/٢-٣٠٧ .

عليه وسلم ما يريد وأخفى عنه ما يريد .

ثم عندما حلَّ المساء استدعى الرسول صلى الله عليه وسلم علياً والزبير وسعد ابن أبي وقاص وبسبس بن عمرو[1] ، فأمرهم أن يذهبوا إلى ماء بدر يلتمسون خبر قريش حوله ويستطلعونه ، فأدركوا بعض سُقَّائهم فأخذوهم إلى معسكر المسلمين ، فاستخرج منهم الرسول صلى الله عليه وسلم المعلومات التي يحتاجها عن قريش ، (ابن هشام ١٤٠٩هـ : ٢/٣٠٧-٣٠٨)[2] .

وعرفت قريش قرْبَ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن طريق السُقَّاء الذين هربوا وأفلتوا من طليعة المسلمين ؛ عليٍّ وأصحابه ، (الواقدي د.ت : ١/ ٥١) .

ولما تحوَّل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى منزله الأخير في بدر أرسل عمارَ بن ياسر وعبدَ الله بن مسعود رضي الله عنهما ليلاً ، ليطوفا حول معسكر المشركين على أقدامهما ، ويتحسَّسا أحوالهم ، فعادا ليخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بانهيارِ حالتهم النفسية " القوم مذعورون فزعون" (الواقدي، د.ت : ١/ ٥٤) وخوفهم مما ينبلجُ عنه صباح تلك الليلة الثقيلة على القلوب المحفوفة بالخطر .

وهكذا يلاحَظُ مدى دقة تحري الرسول صلى الله عليه وسلم في معرفة الأخبار والمعلومات المتعلقة بعدوه عن طريق الإرسال المتكرر للعيون ، لمواكبة المستجدات والتغيرات التي تطرأ على الساحة .

أما آخر تحريات قريش عن جيش المسلمين فكان عندما بعثوا عُمير بن وهب الجمحي [3] ، وطلبوا منه أن يَحْزِرَ عددهم ، ففعل ، وأخبرهم بقلَّتهم وأنه لا مددلهم

---

(١) وهذه المرة الثالثة التي يبعث فيها بسبس ، وهو أمر لافت للنظر ، وقد يكون ذلك لصفات يتميز بها في هذا السبيل.

(٢) وابن سعد (د.ت) : ٢/١٥

(٣) عمير بن وهب الجمحي كان من شياطين قريش الذين يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما كانوا بمكة ، ثم أسلم في قصة طريفة بينه وبين صفوان بن أمية . ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٢/٣٧١ وما بعدها

ولا كمـين ، لكـنه حـذر قومـه من سوء عاقبة اللقاء مع المسلمين ، وعلى ضوء حديثه جرت محاولات من بعض عقلاء قريش للعودة إلى مكة ، وترك القتال ، لكن الشقيَّ أبا جهل أفسد عليهم كل شيء (ابن الزبير، ١٤٠١هـ : ١٤٠) [١] .

غزوة أحد

لـئن كتـبت الـنجاة لقافـلة أبـي سفيان قبيل غزوة بدر فإنها لم تكتب هذه المرة لقافلة صفوان بن أمية قبيل غزوة أحد ؛ إذ وصل خبرها سريعاً إلى الرسول صلى الله عـليه وسـلم عـن طـريق أحد الصحابة [٢] ، فأرسل إليها سرية تمكنت من الاستيلاء عـليها ، وأسْرِ دليلها فُرات بن حَيَّان [٣] (الواقدي، د.ت: ١/ ١٩٨) ، الذي تصفه المصادر بأنه كان عيناً لأبي سفيان في حروبه قبل أن يسلم. (البخاري د.ت : ٧/ ١٢٨)[٤] .

وغضبت قريش لهزيمتها النكراء في بدر ، وتسيُّد المسلمين على منافذ تجارتها إلى الشـام ، فأعدَّت لحربٍ جديدةٍ هي غزوة أحد ، فكانت العيون فيها والاستخبارات على النحو الآتي :

لما تكامل استعداد قريش في مكة وأجمعوا على المسير والتحرك لحرب المسلمين في المديـنة كتب العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه– كتاباً إلى الرسول صلى الله عليه وسـلم ذكر فيه عدد قريش وعدتهم وما معهم من الخيول والإبل والسلاح .. ثم ختم الكـتاب ، واسـتأجر رجـلاً مـن قبيـلة غفـار الموالـية للرسول صلى الله عليه وسلم ،

([١]) و ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٢/٣١٥-٣١٦ ؛ ابن سعد (د.ت) : ٢/١٦

([٢]) قال الواقدي (د.ت) : ١/١٩٨ هو سليط بن النعمان بن أسلم . ولم أعثر لهذا الاسم على ترجمة في معاجم الصحابة، فقد يكون مصحّفاً .

([٣]) فرات بن حيان العجلي من أهدى الناس بالطرق، كان متعاوناً مع قريش في تجارتها وحروبها ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وتفقه في الدين ، وأقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أرضاً باليمامة ، ثم نزل الكوفة . =انظر عنه : (البخاري ، د . ت : ٧/١٢٨) ؛ ابن الأثير [ابو الحسن] (١٤١٨هـ) : ٣/٤٥١

([٤]) و (ابن قانع ، ١٤١٨ هـ : ١٢/٤٢٤٩-٤٢٥٠)

واشترط عليه أن يسلمه بعد ثلاث ليال ، فقدم الغفاري فسلَّم الكتاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بقُباء ، فقرئ عليه ، فأخبر بعض أصحابه ، ثم شاع الخبر في الناس (الواقدي، د.ت : ١/ ٢٠٣-٢٠٤).

وهنا نقف لنبين أن أكثر أهل العلم ذكروا أن بقاء العباس بمكة كان برغبة الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون عيناً له على المشركين يكتب بأخبارهم [١] ، ولذلك جزم ابن عبد البر رحمه الله تعالى (١٤١٥هـ : ٢/ ٣٥٩) بإسلامه قبل فتح خيبر ، وأشار إلى الرأي القائل بإسلامه قبل بدر ، وأن الرسول كتب إليه إن بقاءك بمكة خير! وكذا ابن سعد (د.ت : ٤/ ٣١) [٢] .

وأقبل عمرو بن سالم الخزاعي [٣] ، في نفر من قومه لما عسكرت قريش بذي طوى[٤] نحو المدينة على وجه السرعة فقطع الطريق في أربع ليال ، ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم خبر قريش (الواقدي، د.ت :١/ ٢٠٥) ، وهكذا يتحرك الموالون للرسول صلى الله عليه وسلم من القبائل الموادعة ليوقفوه على حال عدوه .

وعندما وصلت قوات قريش العَرْج [٥] أرسل أبو تميم الأسلمي [٦] غلامَه مسعودَ

---

(١) انظر مثلاً (الخزاعي ، ١٤٠١ هـ : ٤٧٣) فقد بوَّب بعنوان : (الرجل يُتخذ في بلد العدو عيناً يكتب بأخبارهم إلى الإمام)

(٢) وذكر ابن سعد أيضاً أن إسلامه كان قبل الهجرة ، وأكد على أن بقاءه بمكة كان بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه كان لا يترك خبرا بمكة إلا كتب به إليه ، وانظر ابن حجر (د.ت) : ٣٢٢/٧ . وللوقوف على تفصيلات أوسع عن وقت إسلامه انظر : (العودة ، عدد ٢٧ ، رجب ١٤٢٠ هـ) : ٢٨٩ وما بعدها .

(٣) عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي الكلبي صحابي حجازي ، كان أحد حاملي ألوية خزاعة يوم الفتح . انظر عنه ابن عبد البر (١٤١٥هـ) : ٢٥٩/٣ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨هـ) : ٣٧٢/٣ ؛ ابن حجر (١٣٢٨هـ) : ٥٣٦/٢ .

(٤) ذو طوى : واد من أودية مكة يسيل في سفوح جبل أذاخر والحجون من الغرب ، كله داخل في عمران مكة اليوم . البلادي (١٤٠٢هـ) : ١٨٨ .

(٥) العَرْج : واد فحل من أودية الحجاز التهامية ، مر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة ، يبعد عن المدينة ١١٣ كيلاً ناحية الجنوب . البلادي (١٤٠٢هـ) : ٢٠٣ .

(٦)هو أوس بن حجر الأسلمي ، أسلم بعد قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً ، وكان صديقاً لأبي بكر فأمدَّه وقت الهجرة براحلة وزاد ودليل . ابن سعد (د.ت) : ٣١١/٤

بـنَ هنيدة[1] ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقدومهم ومامعهم من العدد والعدة والسلاح والخيل (ابن سعد ،د.ت : ٤/ ٣١٠) .

فـلما نزلت قريش ذا الحليفة [2] بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عينين له ؛ هما أنس ومؤنس ابنا فضالة الأنصاريان [3] ، فانسلا في صفوفهم بالعقيق ، وسارا معهم يتجسّسـان ، ثـم أتيـا الـنبي صلى الله عليه وسلم بخبرهم وعددهم ، وأنهم قد تركوا دوابهم في زروع المدينة الجنوبية فأفنوها (الواقدي، د.ت : ١/ ٢٠٦-٢٠٧)[4] .

وكـان آخـر عـين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل المعركة هو الحُباب بن المـنذر [5]، بعـثه إليهـم سراً وأمره إذا عاد الا يخبره بين أحد من المسلمين إلا إذا رأى فيهـم قلة ، فذهب ودخل فيهم وحزرهم ونظر إلى جميع ما يريد ، ثم عاد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فأدى إليه الخبر على وجه الدقة خالياً كما أمره (الواقدي، د.ت : ٢٠٧-٢٠٨)[6] .

فوقف الرسول صلى الله عليه وسلم على التفاصيل الدقيقة عن معسكر المشركين مـن خـلال تـلكم الإخـبارات والعيـون ، فبـنى خطته للمواجهة على أساس متين من المعـرفة. ولكـن مـا حدث من خلل بسبب بعض الرماة الذين خالفوا أمره غيَّر موازين

---

(١) مسعود بن هُنيدَة مولى لأبي تميم الأسلمي، صَاحَبَ ركبَ الهجرة المبارك دليلاإلى قباء ، فأسلم في تلك الأثناء ، ثم أعتقه مولاه فيما بعد . ابن سعد (د.ت) : ٣١١/٤-٣١٢.

(٢) هو الذي صار فيما بعد ميقاتاً لأهل المدينة ومن مرّبه،يبعد عنها تسعة أكيال على طريق مكة جنوبا ،يعرف اليوم بأبيار علي. البلادي (١٤٠٢هـ) : ١٠٣-١٠٤.

(٣) أنس ومؤنس ابنا فضالة بن عدي بن حرام الظفريان ، كانا عينين للرسول صلى الله عليه وسلم وشهدا معه غزوة أحد ، ابن عبد البر (١٤١٥هـ) : ٢٠١/١و ٥٠/٤ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨هـ) : ١٤٧/١ و ٢٠٥/٤

(٤) و ابن سعد (د.ت) : ٣٧/٢ .

(٥) الحباب بن المنذر بن الجموح السلمي ، أبو عمرو ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له: ذو الرأي ، وهوالذي أشار بالنزول على ماء بدر وقت الغزوة فوافقه الرسول صلى الله عليه وسلم ، مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ابن عبد البر (١٤٠٣هـ) : ٣٧٧/١ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨هـ): ٤١٤/١ .

(٦) و ابن سعد (د.ت) : ٣٧/٢

القوى فكان النصر لقريش في آخر المعركة . ولهذا فإنه بعد انسحابهم من ميدان المعركة خشي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخالفوه إلى المدينة ، فأرسل في أثرهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عيناً ليرى هل يتجهون إلى مكة أويغيرون على المدينة ، فسار في آثارهم حتى تأكد من ظعنهم ، فعاد وأخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم (الواقدي، د.ت : ١/٢٩٨)، وذكر الواقدي أيضاً (د.ت : ١/٢٩٩) أنه أمره إن رآهم مغيرين على المدينة أن يخبره سراً حتى لا يفتَّ في أعضاد المسلمين.

فأنت ترى من هذا المتابعة المستمرة للعدو حتى بعد الإنسحاب ، والمحافظة على الروح المعنوية للمسلمين حتى بعد الهزيمة .

وبات الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة بالمدينة بعد المعركة ، فلما أصبح ندب المسلمين لمتابعة العدو إرهاباً لهم وتأكيداً على أن ما أصابهم لم يكن ليضعفهم، (الزرقاني، ١٤١٤هـ : ٢/ ٦٠) ، وبعث ثلاثة رجال طليعة أمامه في آثار القوم ، منهم: سليط ونعمان ابني سفيان بن خالد بن عوف من بني سهم [١] (الواقدي ، د.ت : ١/٣٣٧)، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد [٢] ، وهم يأتمرون بالرجوع والكرة على المسلمين ، فأبصروا الرجلين فعرفوا أنهما طليعة للمسلمين يتجسسان عليهم فقتلوهما ، ثم واصلوا المسير وهم مترددون بين العودة إلى المدينة ، و الاستمرار في السير إلى مكة ، حتى أدركهم مَعْبَد الخزاعي[٣]، فخذّلهم عن الرجوع وخوّفهم من قوة

---

(١) سليط بن سفيان ذكره ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢/٢٠٥ وأشار إلى أنه أحد الثلاثة الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم طلائع في آثار المشركين يوم أحد ، أما النعمان بن سفيان فذكره ابن حجر في الإصابة ، وقال أيضا إنه أحد الثلاثة الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة حمراء الأسد ٣/٥٦١. لكن ابن حجر (١٣٢٨ هـ): ٣/٥٦١ أشار في ترجمة (النعمان ومالك ابنا خلف بن الخزاعي) إلى أنهما كان طليعتين للرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقتلا شهيدين فدفنا في قبر واحد . ولم أرَ عند أحد من كتاب المغازي أن هذين الأخيرين كانا طلائع قبل الغزوة أو أثناءها ، ولذلك فيحتمل أن إرسالهما كان بعد الغزوة، أو أن هناك تداخلا أو تصحيفا في الأسماء ، ولاسيما أنه ورد دفنهما في قبر واحد كما هو ثابت بالنسبة للأولين اللذين يعرفان بالقرينين.

(٢) حمراء الأسد : جبل أحمر جنوب المدينة يبعد عنها ٢٠ كيلا ، البلادي (١٤٠٢هـ) : ١٠٥.

(٣) معبد الخزاعي ذكره ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٣/٤٨١ ، و ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٤/١٦٠ ،

المسلمين الجديدة ، فرجعوا إلى مكة خائفين قد قذف الله تعالى الرعب في قلوبهم ، (الواقدي ، د.ت : ١/٣٣٧-٣٣٨) [1]. فلما وصل المسلمون إلى حمراء الأسد وجدوا الطليعتين مقتولين فدفنوهما في قبر واحد ، ولذلك فيسميان (القرينان) ، (الواقدي ، د.ت : ١/٣٣٧-٣٣٨).

من هنا يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم استمر في بعث الطلائع في آثار القوم حتى انقطعوا إلى بلدهم ، ويلاحظ أن العيون يكون مصيرها القتل أحياناً ، فالعين كثيراً ما يُعرِّض نفسه للعدو ، بل يضطر أحياناً إلى المخالطة حتى يقف على الدقائق والتفاصيل ، أو ليعرف مجريات حديث القوم وتوجهاتهم ، كما سنرى من ذلك فيما بعد بإذن الله تعالى .

بعث الرجيع [2]

هي سرية أعدها النبي صلى الله عليه وسلم من عشرة أشخاص (البخاري، ١٤١٧هـ : ٨١٩) [3] عيوناً ليبعثهم إلى مكة يتجسسون له ويأتوه بخبر قريش ، (البخاري، ١٤١٧هـ : ٦١٧)[4] ، وقبل أن تنطلق هذه السرية وافق مجيء نفرمن

ونكر قصة لقائه بالرسول صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد وتأسفه على ماأصاب المسلمين – وكان آنذاك مشركاً – ولحوقه بأبي سفيان ومن معه بالروحاء ، وثنيهم عن الكرّة على المسلمين ببث الخوف في قلوبهم ، وأسلم فيما بعد . ونصّ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٤٤٢/٣على أنه غير معبد بن أبي معبد (ابن أم معبد) التي مرّ عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق الهجرة .

(1) وابن سعد ، (د.ت) : ٤٩/٢ ؛ الزرقاني (١٤١٤هـ) : ٦٠/٢ وذكر ، الواقدي ، (د.ت) : ٣٤٠/١ أن معبداً أرسل رجلاً من خزاعة ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بانصراف القوم على خوف ووجل .

(2) الرَّجيْع : ماء يقع شمال مكة قرابة ٧٠ كيلا ، قبيل عسفان إلى اليمين ، يعرف اليوم باسم (الوطية). البلادي (١٤٠٢هـ) : ١٣٨

(3) وعند ابن إسحاق كما في ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٢٤٢/٣ ستة ، وعند ، الواقدي ، (د.ت) : ٣٥٥/١ سبعة، ، وما في الصحيح أصح .

(4) و ابن الزبير (١٤٠١هـ) : ١٧٥ ؛ ابن أبي شيبة (١٤٢٠هـ) : ٢٩٦

عَضَل والقَارَة [١] ، أظهروا الإسلام وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم نفراً من أصحابه يقرئونهم القرآن ويفقهونهم في الإسلام . فبعث معهم أفراد تلك السرية ، لأن مرابعهم قريبة من هدفها ، للأمرين معاً تعليم القوم والتجسس على قريش (الزرقاني، ١٤١٤هـ : ٢/ ٦٥) ، فانطلقوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار ، (ابن حجر، د.ت : ٧/ ٣٨١) ، وهذا دليل على أنهم كانوا عيوناً . لكن مصير هؤلاء العيون كان القتل بخيانة الأعراب ، وكان فيهم خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنَّة [٢] ، فبيعا إلى قريش ، فقتلوهما صبراً ببعض من قتل منهم في بدر (البخاري، ١٤١٧هـ : ٨١٩) وصُلب خبيب على خشبة وُضعت عندها الأحراس والعيون ، (الطبري ، ١٩٧٦ م : ٢/ ٥٤١) ، [٣] من قبل قريش حتى لا يتمكن المسلمون من إنزاله ، ومع ذلك فقد بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري [٤] وحده عيناً إلى قريش ، فجاء عمرو إلى خشبة خبيب وهو مصلوب حوله الحرس والعيون نُوَّماً لم ينذروا به فأنزله، (ابن حنبل ، ١٤١٩ هـ : ١٢٤٣ و ١٦٦٣) . [٥] وورد في خبر

([١]) عَضَل و القَارَة : بطنان من بني الهون بن خزيمة ، ينتسبون إلى عضل بن الديش بن محكم ، ويضرب بالقارة المثل في إصابة الرمي. ابن حجر (د.ت) : ٣٧٩/٧

([٢]) خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري الأوسي ، شهد بدرا ثم بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أحد في هذه السرية(الرجيع)فاشتراه بعض أهل مكة هو وزيد الآتي ذكره ليقتلوهما بمن قتل منهم في بدر بعد ما غدر بهم الأعراب، ، فقتلوهما هناك في قصة مشهورة . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٣/١ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ١٠٨/٢ وما بعدها ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٤١٨/١ . أما زيد بن الدثنة فهو أنصاري خزرجي شهد بدراً وأحداً كذلك ، وكان قتلهما في سنة ٣ هـ . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ١٢٢/٢ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٢٤٣/٢

([٣]) ذكر الزرقاني (١٤١٤هـ) : ٧٣/٢ أن عددهم كبير يصل إلى ٧٠ رجلا ، وقيل ٤٠ .

([٤])عمرو بن أمية بن خويلد الضمري ، أبو أمية ، أسلم بعد أحد مباشرة ، وكان أحد أنجاد العرب ورجالها نجدة وجراة، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام سنة ست فأسلم النجاشي ، توفي في آخر أيام معاوية قبل الستين . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٤٨/٣ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] ، (١٤١٨ هـ) : ٣/ ٣٥١_٣٥٢

([٥]) وعند ابن سعد ، (د.ت) : ٩٤/٢ أن معه سلمة بن أسلم ، وعند ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٣٧٢/٤ أن معه جبار بن صخر الأنصاري ، وروى ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٤١٩/١ عن أبي يوسف أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل المقداد والزبير لإنزال خبيب عن خشبته .

عـودة عمـرو إلى المدينة أنه أدرك في طريقه رجلين بعثتهما قريش يتجسسان الأخبار ، ويتحسســان مــن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل أحدهما ، وأسر الآخر ، وقـدم بـه المديـنة، (الطـبري، ١٩٧٦هـ :٢/ ٤٥٤)[١] ، وكان عمرو فاتكاً مثل السبع لايهـاب الموت مرهباً للمشركين . ويفهم من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يـبعث العيـون أحيانـاً على شكل مجموعة سرية مثلاً ، وأحياناً يبعث أفراداً وحداناً ، بحســب الظروف والأحوال التي تقتضيها المصلحة وقت الإرسال ، والعين غالباً مظنة القتل ، لأن ضرره على العدو شديد ، فإذا ما ظفر به فالموت في انتظاره .

وفي غـزوة دومــة الجندل [٢] استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من بـني عُذرة يعرف باسم (مذكور) من أعرف الناس بمسالك ودروب المنطقة التي اتجه الرسـول صـلى الله عـليه وسـلم إليها ، فلما دنا من بلد العدو خرج هذا الرجل طليعة حـتى اكتشـفَ سـوائمهم في مـراعيها ، ثم عاد ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعـلى ضـوء ذلـك فاجأهم، فأصاب من أصاب وهرب من هرب ، وأصاب الذعرُ أهل البـلد، (الواقـدي ، د.ت : ٤٠٣/١) . وبمـثل تـلك المفاجـآت بأخـبار العيـون تتحقق الأهداف من الغزوات بدون خسائر، إذا ما تم رصد أحوال العدو بشكل دقيق .

أمـا غـزوة المُرَيْسيع [٣] فكان فيها حالتان من بعث العيون ، إحداهما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أحَدَ أصحابه وهو بُرَيْدة بن الحُصَيْب الأسلمي [٤] عيناً ، ليتعرف

([١]) والبيهقي (١٤٠٥هـ) : ٣٣٦/٣ ؛ ابن كثير (د.ت) : ١٣٨/٣

([٢]) قرية من قرى الجوف شمال تيماء غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ٥هـ . ابن سعد ، (د.ت) : ٦٢/٢، ؛ البلادي (١٤٠٢هـ) : ١٢٧

([٣]) المُرَيْسيع :فرع من وادي (حورة) أحد روافد (ستارة) وستارة وقديد واد واحد ، يبعد عن ساحل البحر ٨٠ كيلا غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة فيه،وذلك في شعبان سنة ٥ هـ . ابن سعد ، (د.ت) : ٦٣/٢ ؛ البلادي (١٤٠٢هـ) :٢٩٠

([٤]) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي ، أبو عبد الله ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحديبية ، كان في المدينة ثم تحول إلى البصرة ، ثم خرج غازياإلى خراسان فمات بمرو في أمارة يزيد بن معاوية . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٦٣/١ ؛ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٢٠٣/١

على أخبار بني المصطلق من خزاعة الذين يتجهزون لحربه ، بقيادة زعيمهم الحارث ابن أبي ضرار [1] ، ولكننا في هذه المرة نلاحظ حالة خاصة عند هذا العين ؛ إذ استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في التقوُّل عليه وإظهار عداوته ، فأذن له ، وهذا مطلب يظهر في بعض الأحيان ملحاً في بعض المواقف الصعبة التي لا يمكن الوصول إلى العدو إلا من خلالها. وباستخدام هذا الأسلوب نجح ابن الحصيب في الوقوف على مايريد من أحوال من أرسل إليهم ، ووضع ذلك كله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، (الواقدي ، د.ت : ١/ ٤٠٤-٤٠٥) ، فتحرك لحربهم على بصيرة من أمره .

والحالة الثانية بعث الحارث بن أبي ضرار المصطلقي عيناً من قبله هو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ليأتيه بخبره وهل تحرك من المدينة ؟ ، لكن هذا العين وقع في أيدي المسلمين ، فهددوه بالقتل إن حاد عن الصدق ، فأفشى سر صاحبه ، ثم عرضوا عليه الإسلام فأبى ، فضربوا عنقه، (الواقدي، د.ت : ١/ ٤٠٦) ، ولم يكن له سابق عهد أو أمان منهم . وهذا الأسلوب يستخدم أحياناً لإرهاب العدو وتخويفه وتحطيم معنويات جنوده ومحاربيه ، لفتِّ عضده وتفريق جموعه . يدل على ذلك قول أم المؤمنين جويرية بنت الحارث - رضي الله عنها - بعد أن أسلمت إنه لما جاءهم خبر مقتل العين ومسير الرسول صلى الله عليه وسلم سِيء أبوها بذلك ومن معه ، " وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرق عنهم من كان قد اجتمع إليهم من أفناء العرب ، فما بقي أحد سواهم " (المصدر السابق نفسه) ، فكان من السهل احتواؤهم وسبيهم، حيث هزمهم الله تعالى أمام رسوله الكريم .

---

(1) الحارث بن أبي ضرار (حبيب)الخزاعي المصطلقي ، وسماه بعضهم الحارث بن ضرار ، قال ابن حجر : ابن حجر (١٣٢٨ هـ) :١/٣٨٦ الصواب الأول ، هو والد جويرية أم المؤمنين رض الله عنها ، نصب لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم فهزم وسبي ، ثم أسلم وحسن إسلامه . وانظر ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ١/٣٥٧ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ١/٣٨١ .

غزوة الأحزاب

علم بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن تكامل استعداد قريش وخرجت من مكة عن طريق عيونه من قبيلة خزاعة الذين اختصروا الطريق في أربعة أيام، فأخبروه بتحرك قريش من مكة متجهة نحو المدينة بأثقالها وجموعها التي ألبتها على المسلمين ،(الواقدي ، د.ت : ٢/ ٤٤٤). وممن ذُكر في هذا المقام جَبَلة بن عامر البلوي أشار إليه (الكتاني ، د.ت : ١/ ٣٦٢) ، وقال : إنه كان عينَ المصطفى يوم الأحزاب ، تأسيساً على ماذكره صاحب الإصابة [١] .

أما العين المشهور في هذه الغزوة فهو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه [٢] الذي وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم ليأتيه بخبر الأحزاب بعد أن فعلت الريح وجنود الله ما فعلت ، وكان توجيهه في هذه المهمة في وقت من أشد الأوقات حرجاً بالنسبة للمسلمين ، لما كانوا يعانونه من البرد الشديد والجوع الشديد ، والخوف الذي عبَّر عنه الباري بقوله تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [سورة الأحزاب من الآية ١٠] ، ولذلك دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكون رفيقه في الجنة (مسلم، ١٤١٨هـ : ٧٩٧) ، واشترط له الرجعة ، (ابن هشام ١٤٠٩هـ : ٣٢٢) ، وكان قد أمره أن يدخل في غمار القوم فينظرَ ما يقولون ، حتى يصل إلى المعلومات بشكل دقيق . فدخل عسكرهم في جو شديد الظلمة شديد الريح ، وإذا أبو سفيان يصطلي على النار ، ويحذرهم الجواسيس والعيون ، (الواقدي ، د.ت : ٢/

---

(١) لم أعثر في نسخة الإصابة التي بحوزتي على هذا الاسم المذكور مع التدقيق في البحث ، والإستعانة بالحاسب . وكذا لم أجد له ترجمة فيما لدي من مصادر تراجم الصحابة والأعلام ، ولذا فقد يكون الاسم مصحفاً

(٢) حذيفة بن حِسْل بن جابر ، أبو عبد الله العبسي ، واليمان لقب أبيه حسل ، صحابي كبير ، صاحب سر رسول الله صلى الله عليه في المنافقين ، ولاه عمر رضي الله عنه على المدائن ، وتم على يديه فتح بعض بلاد فارس ، توفي سنة ٣٦ هـ . (ابن الجوزي ، ١٣٨٩هـ : ١/٦١٠ وما بعدها) ؛ (الذهبي ، ١٤٠٧هـ : ٤٩١ وما بعدها) .

٤٨٩) [١] ، ويطلب منهم أن يعرف كل امرئ من جليسه ، لأنه فيما يبدو أحس بدخول رجل غريب بينهم ، فسارع حذيفة رضي الله عنه إلى سؤال من بجانبيه (البيهقي، ١٤٠٥هـ : ٣/ ٤٥١) ، حتى لا يُسألَ هو – وهذه فطنة مع سرعة بديهة وذكاء يدل على حكمة من اختارهلهذه المهمة – ولما تهيأت له فرصة سانحة لقتل أبي سفيان لم يفعل ، امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " اذهب فأتني بخبر القوم ، ولا تَذْعَرْهُم عليَّ " (مسلم، ١٤١٨هـ : ٧٩٧) . ووقف حذيفة على التفصيلات الدقيقة عن حالهم وعزمهم على الرحيل بالخيبة والخسران ، فعاد وأخبر الرسولَ صلى الله عليه وسلم فسُرَّ بذلك (أبو نعيم ، د.ت : ٤٣٥) [٢] ، وورد في بعض الروايات أن حذيفة أيضاً استكشف حال قبيلة غطفان المتحالفة مع قريش على حرب المسلمين، فرأى أنهم قد ارتحلوا في تلك الليلة ، (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٤٩٠)[٣] . عندئذ سمح الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالرجوع إلى منازلهم ، لكنه لم يعجبه إسراعهم في العودة خشية أن يكون لقريش عين ترقب ، (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٤٩٢) .

وفي شأن بني قريظة الناكثة لعهدها مع الرسول صلى الله عليه وسلم الممالئة لقريش على حربه وخيانته في هذا الموقف العصيب ، انتدب لاستكشاف موقفها هذا أولاً الزبير بن العوام رضي الله عنه الذي أبدى استجابة سريعة لطلب الرسول صلى الله عليه وسلم حين رغب في التوجيهلهذا الأمر (البخاري، ١٤١٧هـ : ٥٧٨) ، فذهب وجاء بالخبر ، وهو أول مبعوثلهذه المهمة ، (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٤٥٧) ، وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم – كما رأينا – أنه يتابع العيون والطلائع للوقوف على

(١) وجاء عند (أبي نعيم د.ت : ٤٣٤) "فقال رجل من القوم : ألا إن فيكم عيناً للقوم "
(٢) والبيهقي (١٤٠٥هـ) : ٣/٤٥٥
(٣) انظر مرويات ذهاب حذيفة عيناً في غير المصادر آنفة الذكر عند (ابن عساكر : ١٤١٥ هـ ١٢/٢٧٧-٢٨٣) ؛ وعند (الصالحي ، ١٤١٤هـ : ٤/٣٨٧-٣٨٩)

أحـوال الأعـداء بصورة دقيقة ، فورد عند جمع من أهل السير أنه أرسل كلاً من سعد بـن معـاذ وسـعد بـن عـبادة وعبد الله بن رواحة [1] إلى بني قريظة لاستجلاء حقيقة موقفهـم ، وأوعز إليهم أن يلْحَنوا [2] ولا يصرحوا إن كانوا ناكثين فعلاً ، وأن يُظهروا الأمـر إن كـانوا عـلى الوفاء ، مراعاة لروح المسلمين المعنوية، فلما وقفوا على الحقيقة المـرة عادوا ولحنوا للرسول صلى الله عليه وسلم بها ، لكنه مع ذلك كان واثقاً بنصر الله تعـالى فكبر وبشر المسلمين بالفتح و قرب الفرج (ابن كثير، د.ت : ٣/ ٢٠). ويشير الواقـدي (د.ت: ٢/ ٤٦٠) إلى اسـتطلاع أخير قام به النبي صلى الله عليه وسلم تجاه بـني قريظة ، وذلك عندما استدعى خَوَّات بن جُبير [3] ووجَّهه نحوهم ليلاً ، لينظر هل يـرى "لهم غِرَّة أو خللاً من موضـع " فيخبره به ، (الواقدي ، د.ت : ٢/)٤٦٠ ، لكنه حصـلت له قصــة غريـبة ؛ عندما تسلل ودنا منهم ورمق حصونهم ، فقد أخذه النوم نتـيجة الإرهـاق والـتعب والســهر فلم يشعر إلا وهو محمول على عاتق رجل يهودي مـتجه به نحو الحصن ، وكان هذا اليهودي طليعة لبني قريظة ، فحزن هذا الصحابي لا عـلى نفسه وإنما لأنه ضيَّع ثغراً أمره به النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه كان من الـزكانة، بحيث أعمل فكره للخلاص من هذا الموقف المهلك ، فتذكر أن من عادة اليهود أن يضـع أحدهم مِغْوَلاً [4] يشده في وسطه إذا أراد أن يخرج ، وفي غمرة فرح اليهودي

([1]) كما عند موسى بن عقبة في رواية البيهقي عنه (١٤٠٥هـ) : ٤٠٣/٣ ، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٣٠٨/٣ ، ويزيد هؤلاء خوات بن جبير مع الثلاثة ، أما الواقدي (د.ت) فيضع أسيد بن حضير بدل عبد الله بن رواحة ٤٥٨/٢ .

([2]) يقال لحَنْتُ له ألحَنُ لحْنَا ، إذا قلتَ له قولا يفهمه عنك ويخفى على غيره . الجوهري ، الصحاح ، مادة (لحن) ١٦٠٣/٢ .

([3]) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري الأوسي ، أبو عبد الله ، شهد بدرا ، وهو أحد الفرسان المشهورين ، ذكروا له قصصاً ، توفي بالمدينة سنة ٤٠هـ ، وعمره ٩٤سنة . ابن الأثير [أبو الحسن] ، (١٤١٨ هـ) : ١٣١/٢-١٣٢ ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٤٥٧/١

([4]) المِغْوَل :سيف دقيق قصير يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس . ابن منظور، (١٤١٤هـ) : ٥١٠/١١ .

بحصـوله عـلى جَـزَرَة [١] سمينة ، انتزع خوات المغول فوجأه به ، فقتله ، (الواقدي، د.ت : ٢/ ٤٦١) ، ثـم طلب النجاة عائداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضـع بين يديه المعلومات المنوط به الحصول عليها .

وفي مجموعة من البعوث والسرايا التالية كانت العيون والطلائع تعمل عملها إما في نصـرة كتائب الحق ودين الله تعالى ، أو مع القوى الأخرى التي تخشى بأس المسلمين أو تتربـص بهم . ففي سرية لعُكَّاشة بن مِحْصَن [٢] إلى الغَمْر [٣] كان تدبيره فيها قائماً على توجيهات الطلائع والعيون ، فعندما اقترب من هدفه كان القوم قد نذروا به [٤] من خلال عيونهم فأخلوا بلادهم ، لكن طلائعه اكتشفت آثار النعم [٥] ، ثم أصاب ربيئةلهم قد بات ينظر ويستمع طوال ليلته ، فلما أصبح نام ، فأخذوه وهو نائم ، فاستخبروه ، فد لّهم على أنعام لبني عمومة قومه – بعد أن مسُّوه بشيء من عذاب وأمَّنوه على دمه – ، فغنم المسلمون من تلك النعم غنائم كبيرة ، وأطلقوا سراح العين ، (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٥٥٠) [٦] .

وفي سرية أخرى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك [٧] أصابوا عيناً للعدو ، فأمنوه فدلّهم على عورات قومه ، فلما داهموهم غنموا ٥٠٠ بعير و ٢٠٠٠ شـاة ، و هربت بنو سعد بنسائهم وأبنائهم ، ثم أطلق المسلمون العين الدليل

(١) الجَزَرة :الشاة السمينة . (المصدر السابق) : ١٣٤/٤

(٢) كانت هذه السرية في شهر بيع الأول سنة ست . وعكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي ، من سادات الصحابة هاجر وشهد بدراً والمشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبشره بالجنة . ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٢٦٨/٣

(٣) الغَمْر : ماء لبني أسد على ليلتين من فيد شمال شرقي مكة . ابن سعد ، (د.ت) : ٨٤/٢ ، و البلادي (١٤٠٢هـ): ٢٢٨ .

(٤) يقال : نَذِرَ القومُ بالعدو ، إذا علموا . الجوهري ، (١٤١٨هـ) : ٦٦٤/١ .

(٥) النَّعم : واحد الأنعام ، وهي المال الراعية ، وأكثر ما يقع هذا على الإبل . الجوهري ، (١٤١٨هـ) : ١٥٠٥/٢ .

(٦) و ابن سعد ، (د.ت) : ٨٥/٢ .

(٧) هذه السرية كانت في شعبان سنة ست . وفدك : قرية من قرى شرقي خيبر . البلادي (١٤٠٢هـ) : ٢٣٥ .

بعـد أن أمنوا الطلب . وهذا العين الذي دل المسلمين وخذل قومه هو ابن أخ لزعيمهم ، يـرونه أشـجع فتى فيهم ، أصابه الله تعالى بالذعر لما قُبض عليه فكان عيناً على قومه ووبالاً عليهم ، (الواقدي ، د.ت : ٢/٥٦٢-٥٦٣)[1] . ويلاحظ في هذه السرية والتي قبـلها مدى التزام المسلمين بالحق والوفاء بالعهد لعيون الأعداء الذين استأمنوهم على حيـاتهم بعـد الوفاء بالتزاماتهم ، وأن عين العدو يعطى الأمان إذا طلبه مقابل أن يدل المسلمين على عورات قومه .

وكـان أُسَـيْر بـن زارم من رؤوس يهود خيبر – أمروه عليهم بعد قتل أبي رافع سـلام بـن أبي الحقيق – قد همَّ أن يغزوا المسلمين بالمدينة ، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستكشف حاله وحال أهل خيبر وماذا يريدون وبم يتكلمون ويفكرون ، فانـتدبلهـذه المهمـة عـبد الله بـن رواحة [2] رضـي الله عنه في ثلاثة نفر ، فتمكنوا من دخـول حوائطهـم والتسلل إلى حصونهم ، فسمعوا ووعوا ، ثم عادوا ، ليخبروا النبي صـلى الله عـليه وسـلم بعـد إقامة ثلاثة أيام هناك ، (الواقدي ، د.ت :٢/٥٦٦ ؛ ابن سـعد، د.ت : ٢/٩٢) .. لا شـك أن عمـل هـؤلاء الـرجال يحسب من أعمال البطولة والفـداءلهـذا الديـن ؛ دخلوا وسط عدو بغيض موتور يتربص بالمسلمين ، ومكثوا بين ظهـرانيهم ثلاثـة أيام يتسمعون على الرئيس وغيره ، ولم ينكشف أمرهم ، أقول : أي عقـول تلك في حسن تدبيرها ، وحسن تأتّيها للأمور ، وبعد نظرها ، وحسبانها الدقيق لـلعواقب !! لكن لعلَّ في هذا مؤشراً على حكمة من أرسلهم وفطنته الدقيقة بخصائص الرجال.

---

(1) و ابن سعد ، (د.ت) : ٢/٩٠

(2) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، أبو محمد ، أحد النقباء ، شهد بدراً والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده ، لأنه قتل يوم مؤتة شهيداً ، في سنة ٨ هـ ، وهو أحد الأمراء فيها ، وهو شاعر مجيد . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٣/٣٣ وما بعدها ، و ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٢/٣٠٦ .

ويتابع المصطفى صلى الله عليه وسلم تحرياته عن هذا الزعيم اليهودي عن طريق استخبار القادمين من جهة خيبر ، فيسأل حُسَيْل بن خارجة الأشجعي [1] الذي يؤكد له ما وصل إليه من معلومات عن طريق عيونه ، فيتخذ الخطوات المناسبة تجاهه، (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٥٦٦).

غزوة الحديبية [2]

إن مما يلفت النظر في هذه الغزوة أن استخدام العيون فيها كان واضحاً سواء من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أو من قبل قريش الذين أرادوا منعه من دخول مكة؛ بسبب رغبته في تجنب المواجهة معهم ، لأنه ما جاء إلا للعمرة ولا يريد حرباً ، ولأن قريشاً تخشى من دخوله الحرم عنوة فيسقط في يدها وتذهب هيبتها . وكانت العيون فيها علىالنحو الآتي :

قدم بُسْر بن سفيان الخزاعي [3] من مكة إلى المدينة مسلِّماً على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستبقاه عنده ، فلما توجه نحو الحديبية ، وصار إلى ذي الحليفة أرسله عيناً له إلى قريش ، يتعرف على أخبارهم ، ثم يلقاه بما يكون منهم ، (البخاري ١٤١٧ هـ : ٨٦١)، وقد عرف الرسول أنه بلغهم خبر توجهه إليهم ، فانطلق بُسر مُغذّاً السير حتى وصل إلى مكة ، فدخلها وسمع ورأى واستوعب ليعود إلى الرسول صلى الله عليه

---

(١) ذكره الواقدي هنا (د.ت) : ٥٦٦/٢ باسم خارجة بن حسيل ، ثم ذكره في غزوة خيبر ٦٣٨/٢-٦٣٩ باسم حسيل بن خارجة ، وهوموافق لما في كتب تراجم الصحابة ، وذكروا شهوده مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر دليلاً . ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ١٩/٢ ، و (الذهبي ، د.ت :١٣٠/١) ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ): ٣٣٢/١ .

(٢) الحديبية : قرية قريبة من مكة تبعد عنها ٢٢ كيلاً إلى الغرب منها على طريق جدة القديم ، سميت ببئر فيها ، وهي مخففة ، وكثير من المحدثين يشددونها . لسان العرب ، مادة (حدب) ، ومعجم المعالم .. ص ٩٤ .

(٣) بسر بن سفيان بن عمرو الخزاعي كان من سروات خزاعة وأشرافهم ، كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام فأسلم سنة ست ، وشهد الحديبية . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٤٦/١ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٢٠٩/١ ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ١٤٩/١ .

وسلم فيلقاه بغدير الأشطاط [1] ، فيبث إليه خبر قريش ؛ سمعوا بمسيرك ففزعوا وهابوا ، وجمعوا الجموع واستنفروا الأحابيش [2]، "وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك" (البخاري ١٤١٧هـ : ٨٦١) [3]، نزلوا بَلْدَح[4] ، "وقدّموا الخيل، ووضعوا العيون على الجبال ،ووضعوا الأرصاد" (الواقدي ، د.ت : ٢ / ٥٨٠). ساء الرسولَ صلى الله عليه وسلم موقفُ قريش هذا وموقف من ساندهم من القبائل ، ولهذا جاء عند البخاري رحمه الله تعالى أنه شاور أصحابه ، وعرض عليهم أن يباغتوا أهل هؤلاء المحاربين وذراريهم ، قال : "فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً [5] من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين " (البخاري، ١٤١٧هـ : ٨٦١)، فأشار الصديق رضي الله عنه بمواصلة المسير نحو البيت ، لكن المسلمين فوجئوا بخيل قريش عليها خالد بن الوليد طليعة ، كما أخبر بُسرُ عينُ الرسول صلى الله عليه وسلم (البخاري ١٤١٧هـ : ٥٤٩) [6] . فلما أمسوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ طريق آخر خالف به خالداً وعيون قريش (الزهري، ١٤٠١هـ : ٥١) [7] ، وكانت قريش قد وضعوا عيونهم على الجبال وفرقوهم ، وأمّروا عليهم الحكم بن عبد مناف ، يوحي بعضهم إلى بعض الصوتَ الخفي ؛ فَعَلَ محمدٌ كذا وكذا ، حتى ينتهي ذلك إلى قريش في بَلْدَح ، (الواقدي ، د.ت : ٢ / ٥٧٩) .

---

(1) غدير الأشطاط : موضع بملتقى الطريقين للحاج قريب من عسفان .(الحموي ، د.ت : ١٩٨/١ ؛ الزبيدي ، (١٤١٤هـ) : ٣١٢/١٠ .

(2) الأحابيش هم بنو الهون وبنو الحارث من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا مع قريش تحت جبل اسمه الحُبْشى أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحَبُّشِهم أي تجمعهم ، والتحبش التجمع . ابن حجر (د.ت) : ٣٣٤/٥ ؛ الزبيدي ، (١٤١٤هـ) : ٨٢/٩ .

(3) و الواقدي ، (د.ت) : ٥٨٠/٢ .

(4) بَلْدَح : واد من أودية مكة الكبار أعلاه عند حراء ويصب في مر الظهران قريب من الحديبية شمالاً . البلادي (١٤٠٢هـ) : ٤٩ .

(5) قال ابن الأثير [أبو السعادات] ، ١٤١٨ هـ : ٢٩٩/٣ ،:أي كفى الله منهم مَنْ كان يرصُدنا ويتجسسُ علينا أخبارنَا

(6) و ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٤٢٨/٣ عن الزهري ؛ الزرقاني (١٤١٤هـ) : ١٨٣/١ .

(7) والواقدي ، (د.ت) : ٥٨٣/٢

خطة ذكية توصلت بها قريش إلى متابعة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أولاً بأول ، ولاسيما بعد أن نزل منزله الأخير في الحديبية، حيث كانت مفاوضاته معهم ثم عقد الصلح . وكان عروة بن مسعود الثقفي [1] قد جاء لنصرة قريش ، فعرض عليهم أن يذهب إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) لينظر من معه وليكون عيناًلهم يأتي بخبره، فأرسلوه . (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٥٩٤) .

أما آخر مايلفت النظر في غزوة الحديبية فهو أن عيون قريش لما رأت سرعة بيعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وتشميرهم للحرب داخلهم رعب وخوف شديد فأخبروا قريشاً فسارعوا إلى الصلح ، (الواقدي ، د.ت :٢/ ٦٠٤). وهذا يدل على عظم أهمية العيون في اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب .

غزوة خيبر [2]

كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خرج في غزاة أنه يبعث أمام الجيش طلائع تنفض الطريق ، وتتحرى عن العدو وعن عيونه [3] ، وفي هذه الغزوة أرسل أمامه عبَّاد بن بِشْر [4] في فوارس طليعة ، فقبض على عين لليهود ؛ أعرابي من

---

(1) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي ، أبو مسعود ، أسلم بعد انصراف الرسول صلى الله عليه وسلم من ثقيف متوجها إلى المدينة فاستأذنه في دعوة قومه إلى الإسلام ، فأخبره أنهم قاتلوه ، فعاد ودعاهم فقتلوه . ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٢٤٧/٣ .

(2) كانت الغزوة في جمادى الأولى من سنةسبع ، أما خيبر فهي بلد كثير الماء والزرع ، كان يسمى ريف الحجاز ، أكثر محصولاته التمر ، يبعد عن المدينة ١٦٥ كيلا شمالا . البلادي (١٤٠٢هـ) : ١١٨ .

(3) وكذلك كانت تفعل سراياه التي يرسلها انظر مثلا ، الواقدي ، (د.ت) : ٧٢٤/٢ .

(4) عباد بن بشر بن وقش الأنصاري الأشهلي ، أبو بشر ، كان من فضلاء الصحابة قديم الإسلام ، شهد بدراً والمشاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، قتل يوم اليمامة شهيداً ، وهو ابن ٤٥ سنة رضي الله عنه . ابن عبدالبر (١٤١٥ هـ) : ٣٥٠/٢ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٥٣٤/٢ ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٢٦٣/٢ .

قبيلة أشجع ، وكان لعبّاد معه حوار طويل [1] يمكن أن نستنبط منه بعض الفوائد كالآتي :

- إنه يكون أحياناً من مهمة العين التهويل وتخويف العدو بكثرة من أرسله وكثرة إمكاناته ، فيظهر خلاف الحقيقة .
- إنه غالباً ما يطلب من العين معرفة عدد الطرف الآخر "احزرهم لنا " ، وقد سبق مثل ذلك في غزوة بدر
- ضرب العين حتى يصدق في حديثه ، وإن رفض هدد بضرب عنقه ، وهذا الموقف يتعرض له العيون كثيراً
- إعطاء الأمان للعين إذا طلبه مقابل قول الحق .
- حبس العين حتى ينجلي الأمر بين الطرفين المتنازعين ، لمعرفة مدى صدقه ، ولئلا ينقل شيئاً من خبر المسلمين إلى عدوهم .
- عرض الإسلام على العين ودعوته إلى الحق .

وقد مرّ معنا أن أمير الجماعة قد يحتاج إلى أن يخرج في بعض الأحيان عيناً إذا اقتضى الأمر ، لكشف خبر عدوه والوقوف بنفسه على مايريد ؛ وفي سرية لغالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة [2] خرج كذلك ، وأذكى الطلائع والعيون فأصاب المسلمون

---

(1) ملخصه : أن عباداً سأله ، هل له علم بيهود خيبر ، قال : نعم ، فأخبره عن اجتماعهم مع حلفائهم من غطفان ، وكثافة استعدادهم ، وقوة تحصيناتهم ، ووفرة مادتهم ، فشك عباد في كلامه ، فضبه بالسوط ضربات ، وقال : ما أنت إلا عين لهم ، اصدقني وإلا ضربت عنقك ، فصدقه الأعرابي بعد أن أخذ منه الأمان لنفسه ، ثم أخبره بحقيقة القوم ؛ وأنهم مرعوبون خائفون وجلون ، وأن يهود يثرب بعثوا رجلاً إلى أهل خيبر يحرضونهم عليكم ويخبرون عن قلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم .. وأن زعيم خيبر أرسلني لحزركم عن قرب وتخويفكم بكثرة عددهم ومادتهم ، وطلب مني الرجوع سريعاً ، فأخذه عباد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، واقترح عمبن الخطاب أن يضرب عنقه ، لكن عباداً ذكر تأمينه اياه ، فطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يمسكه عنده ويوثّقه رباطاً ، فلما فتحت خيبر لرسول الله صلى اللله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وأجله ثلاثاً وإلا ضرب عنقه ، فأسلم . الواقدي، (د.ت) : ٢/٦٤٠-٦٤١

(٢) كانت هذه السرية في رمضان سنة سبع ، وغالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي ، صحابي قاد بعض السرايا

عدوهـم عـلى غـرة ، ومـلأوا أيديهم من الغنائم . وهكذا في كثير من السرايا والبعوث المماثـلة [1] عـند الاحـتياط والحـذر ، فقـد يقـع عيـون أعدائهم بأيديهم فيداهمونهم ويصيبونهم ، وقد يقتل العين ، (الواقدي ، د.ت :٢/ ٧٢٨) .

لكـن الغريب أنه كان لبعض القبائل المناوئة للدعوة عيون في المدينة ترصد حركة الرسـول صـلى الله عـليه وسـلم إزاءهـا ، فإذا ما خرجت جيوشه نحوها سبقت تلك العيـون بالأخبار، (الواقدي ، د.ت :٢/ ٧٤١ و ٣/ ٩٨٨)[2] .وعندئذ قد ينقلب التدبير عـلى المسلمين ، وينكشفون أمام العدو من حيث العدد والعدة – وهم غالباً ما يكونون أقل من عدوهم – بافتقاد عنصر المفاجأة أوالمبادأة ، فتحدث الهزيمة ويصابون ، لأنهم لايفـرون أمـام العـدو . وفي بعـض الأحيان ينكشف المسلمون بعيون أعدائهم وهم لا يشـعرون نتيجة التوغل في بلاد العدو فتحدث النتيجة نفسها ، (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٧٥٣ ؛ البيهقي، ١٤٠٥هـ :٤/ ٣٥٧).

ومـن هـنا يلاحظ أن أكثر السرايا التي أصيب فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانت بسبب انكشافهم بعيون أعدائهم .

وفي قصـة طريفة لجُندُب بن مَكِيْث الجهني [3] عندما ابتعثه أصحابه ربيئةلهم في إحـدى السـرايا [4] يظهـرُ مـدى حـذر العـين ، ومدى صبره على مايصيبه من الأذى

وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم عيناً كما سيأتي ، عاش إلى زمن معاوية ، وذكر أن زياداً ولاه على بعض خراسان . ((ابن حبان ، د.ت : ٣/ ٣٢٧) ؛ ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٣/ ٣١٨ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٣/ ٤٤٢ . أما الميفعة : فتقع وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . ابن سعد ، (د.ت) : ٢/ ١١٩

(١) كسرية غالب نفسه إلى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع ، ، الواقدي ، (د.ت) : ٢/ ٧٢٥ . وسرية بشير بن سعد إلى الجناب في سنة سبع أيضاً ، ، الواقدي ، (د.ت) : ٢/ ٧٢٨

(٢) والبيهقي (١٤٠٥هـ) : ٤/ ٣٤١ عن موسى بن عقبة

(٣) جندب بن مكيث بن عمرو الجهني ، شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات جهينة ، وسكن المدينة ، وهو أخو رافع بن مكيث الصحابي أيضاً . ابن سعد ، (د.ت) : ٤/ ٣٤٦ ؛ ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) :١/ ٣٢٥ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ١/ ٣٤٩ .

(٤) سرية غالب بن عبد الله الكلبي الليثي إلى بني مرة بفدك في صفر سنة ثمان . انظر عنها : ، الواقدي ، (د.ت) :

واحتماله الآلام خوف الافتضاح ، من أجل إتمام المهمة التي يقوم بها ؛ فقد انبطح فوق تل مشرف على العدو فأحسوا به فرُمي بسهمين أصاباه ، ومع ذلك لم يَرِم حتى وقف على مايريد وأمِنَ على نفسه .

فتح مكة

مسألة مهمة في بحثنا تلفت نظر الباحث في غزوة مكة شرفها الله تعالى، تشهد لرسولنا صلى الله عليه وسلم بصدق النبوة، وبالحنكة وحسن السياسة، وحسن التدبير وصولاً إلى الهدف المقصود بأدنى خسائر ؛ تلك هي قضية تعمية الأخبار عن قريش ومؤيديها ، إذ لم تشعر إلا وهو بجيشه الضخم قد حطَّ في مرابعها !! أقول : لاشك أن تحقق مثل ذلك الأمر يعد ضرباً من الإعجاز . لكنك عندما تتأمل في الأسباب والاحتياطات والتدابير التي اتُّخذت من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد يزول عنك العجب .

ويأتي حرصُ الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة على كتم الأخبار والتعتيم عليها لتضليل العيون التي تتحرى رد الفعل النبوي على نقض قريش لمعاهدة صلح الحديبية ، رغبةً صادقة منه صلى الله عليه وسلم في أن يتم فتح مكة ودخول البلد الحرام دون إراقة دماء من أي من الفريقين ، تعظيماً لحرمته ، مع أن الله سبحانه أحلَّ له القتال فيه في ذلك اليوم – كما في الصحيح – (البخاري، ١٤١٧هـ :٨٨٥) ، دعماً للحق وإزهاقاً للباطل .

وتبدأ القصة عندما حلَّ وفد خزاعة المنكوبة – حلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم – على يد بني بكر – المؤيِّدين من قريش – في الرحاب النبوية ، طالبين النصرة منه

٧٥٠/٢-٧٥١ ؛ ابن سعد ، (د.ت) : ١٢٤/٢ عن ابن إسحاق ، وكذا البيهقي (١٤٠٥هـ) : ٢٩٨/٤ عن ابن إسحاق أيضاً .

علـى هـؤلاء الناكـثين لـلعهود ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، ووعدهم بالنصر (الهيثمي ، ١٤٠٨هـ : ٦/١٦١) .

فكان أولى الخطوات أن أمر عائشة رضي الله عنها أن تجهزه للغزو وتخفي ذلك ، (البيهقي، ١٤٠٥هـ: ٥/١١) [١] ، ولهذا لما دخل عليها أبوها ورأى تجهيزها سألها عن وجهـة الرسـول صـلى الله عليه وسلم ، فلم تجبه ، (الواقدي ، د.ت : ٢/٧٩٦) [٢]، وجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبر أبا بكر وأمره بالإخفاء ، (الواقدي ، د.ت : ٢/٧٩٦) ، ثـم أخـبر خاصـة أصحابه أيضاً ، أما عامة الناس فأمرهم بالتجهز وكَتَمَ الوجـهَ الذي يريد (البيهقي ١٤٠٥هـ : ٥/٧ [٣])، فاختلط عليهم الأمر ، فأحد يظن أن الرسـول صـلى الله عـليه وسلم يريد الشام ، وظان يظن ثقيفاً ، وظان يظن هوازن ، (الواقـدي ، د.ت: ٢/٧٩٦)، وزيادة في التضليل أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم سـرية جهـة الـيمامة في تلك الأثناء ، لتذهب بذلك الأخبار والعيون (المصدر السابق ٢/٧٩٦-٧٩٧) . وكـان مـن شـأن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مع اتخاذ كافة الأسـباب التي تعينه على الوصول إلى الهدف في ضوء الإمكانات المتاحة لـه كان يتوكل عـلى الله تعـالى، ويلـتجئ إليـه بالدعـاء والتضرع لتحقيق المقصود؛ فقد ثبت بروايات صحيحة أنه سأل الله عزوجل أن يُعَمَّي على قريش الأخبارَ ويأخُذَ العيون حتى يبغتهم في بلادهم ، (الواقدي ، د.ت :٢/٧٩٦) [٤] . وحتى لا يتسرَّب خبر من المدينة فقد أمر

---

(١) عن موسى بن عقبة ، وانظر أيضاً ، الواقدي ، (د.ت) : ٢/٧٩٦ ؛ ابن أبي شيبة (١٤٢٠هـ) : ٣٢٠ .

(٢) و انظر أيضـاً الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ٦/١٦٣ ، وفي رواية عند الواقدي أنه لم يخبر حتى عائشة ، وأنه لما سألها أبوها استعجمت عليه ؛ فتقول : لاأدري ، لعله أراد بني سُلَيْم ، لعله يريد ثقيفاً ، لعله يريد هوازن !! ٦/٧٩٦ .

(٣) عن ابن إسحاق ، رواية يونس بن بكير ، أما رواية ابن هشام عن البكائي عن ابن إسحاق فقد جاء فيها : أنه أعلمَ الناسَ أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ ، ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٤/٥٧ ، وهذه الرواية تخالف تدابير الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتمان التي سيرد الحديث عنها ، وتخالف معظم الروايات التي تدل على استمرار هذا الكتمان حتى الوصول قرب مكة .

(٤) وانظر أيضاً ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٤/٥٧ ؛ابن سعد ، (د.ت) : ٢/١٣٤ ؛البيهقي (١٤٠٥هـ) : ٥/٧ ؛ الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ٦/١٦٤ .

صلى الله عليه وسلم بحراسة طرقها ومنافذها، خاصة تلك التي تؤدي إلى مكة ، وكان ابن الخطاب رضي الله عنه قيماً عليهم يتابع ويدقق ، (الواقدي ، د.ت : ٦/ ٧٩٦)[١] .

وفي ظل تلك الاحتياطات والتعتيم الشديد على الأخبار قام أحد الصحابة البدريين وهو حاطب بن أبي بلتعة [٢] رضي الله عنه بالكتابة إلى عدد من رجالات قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمع عليه من غزوهم ، فجاء الوحي من السماء لمعالجة هذا الخطأ ، فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فأتوا بالكتاب من حاملته التي بالغت في إخفائه وأخذت طريقها نحو مكة (البخاري ١٤١٧هـ : ٦٠٩ [٣])، ولأن هذا العمل يعد تجسساً لصالح العدو [٤] – وهو في بعض القوانين الحديثة خيانة عظمى يعاقب عليها بالقتل – فقد استدعى الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل ، وسأله عن الذي دفعه إلى هذا العمل ، فأخبر أنه يريد أن يتخذ يداً عندهم يحمون بها قرابته الموجودين في مكة ، وأنه لم يفعل ذلك كفراً ولاارتداداً ، فصدَّقه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما استأذنه عمر بن الخطاب في ضرب عنقه [٥] – لأن عمله هذا من وجهة نظره يعدُّ نفاقاً وخيانة لله ورسوله – نهاه

(١) وانظر أيضاً ابن سعد ، (د.ت) : ٢/ ١٣٤ ؛ ابن أبي شيبة (١٤٢٠هـ) : ٣٢٠

(٢) حاطب بن أبي بلتعة (عمرو) اللخمي ، حليف قريش ، شهد بدراً والمشاهد مع رسول اله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه بكتاب إلى المقوقس بمصر فأنزله وأعطاه هدايا للنبي صلى الله عليه وسلم ، كان من الرماة المذكورين ، مات بالمدينة سنة ٣٠هـ ، وهو ابن ٦٥ سنة رضي الله عنه . ابن سعد ، (د.ت) : ٣/ ١١٤ ؛ ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) :١/ ٣٧٤

(٣) وظهر أن إرسال هذا الكتاب كان بعدما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحراسة الطرق ومراقبتها ، بدليل قول حاطب للمرأة التي استأجرها : " أخفيه ما استطعتِ ، ولا تمري على الطريق فإن عليه حرساً " ، وقول عمر بن الخطاب لحاطب : " قاتلك الله ترى رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) يأخذ بالأنقاب وتكتب الكتب إلى قريش تحذرهم " ، الواقدي ، (د.ت) : ٢/ ٧٩٨-٧٩٩ .

(٤) ومن فقه البخاري رحمه الله تعالى أنه بوَّب للحديث الذي ذكر فيه قصة حاطب بـ" باب الجاسوس " كما مرَّ .

(٥) اختلف أهل العلم في شأن المسلم الذي يكون عيناً للعدو على المسلمين ؛ فقيل : لايقتل ، استناداً إلى حديث حاطب هذا ، انظر (السرخسي ، ١٩٧٢م : ٥/ ٢٠٤٠-٢٠٤١) ، وقيل : بل يقتل ، لأنه علق حكم المنع من قتله بشهود بدر ، فدل على أن من فعل مثله وليس بدريا أنه يقتل . الزرقاني (١٤١٤هـ) : ٢/ ٢٩٧ ؛ وانظر الهرثمي ، (د.ت): ٥٦ .

المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لأنه من أهل بدر الذين اطّلع الله تعالى عليهم فقال : " اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " (البخاري ١٤١٧هـ : ٨٩٩ و ١٣٢٦ [١]) ، ثم قال: " لا تقولوا لـه إلا خيراً " (البخاري ١٤١٧هـ : ١٠٦) ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن حاطباً فعل ذلك مُتأوِّلاً أن لا ضرر فيه على الرسول صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى أنه أراد أن يلقي الرعب في قلوبهم بعظم الجيوش الغازيةلهم ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو جاءهم وحده لنصره الله تعالى عليهم . (القسطلاني ١٤١٢هـ: ١/٥٦٣ [٢])

وأياً كان فإنه لخطورة هذا الأمر وعظَم أثره فقد تَنَزَّل القرآن ينهى المؤمنين عن موادّة الكافرين ويحذِّر من مقاربتهم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾. [سورة الممتحنة ، من الآية ١].

وتحرك الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استنفر كافة المسلمين للغزو، فأخذوا طريقهم جنوباً ، وقدَّم الطلائع بين يدي الجيش خيلاً تقبض على العيون ، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي إلى مكة . (ابن الزبير ١٤٠١هـ : ٢٠٩ [٣]).

وقد روي عن غالب بن عبد الله الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه يوم الفتح بين يديه ليسهل لـه الطريق ، وليكون له عينا . (البخاري د.ت : ٧/ ٩٩ [٤]) ، وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عروة بن الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث

---

(١)، وانظر مفصلاً عن كتاب حاطب : ، الواقدي ، (د.ت) : ٧٩٧/٢ وما بعدها ؛ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٥٨/٤ وما بعدها ؛ البيهقي (١٤٠٥هـ) : ١٤/٥ وما بعدها ؛ ابن حجر (د.ت) : ٦٣٣/٨ وما بعدها .

(٢) وانظر الزرقاني (١٤١٤هـ) : ٢٩٧/٢ .

(٣) وانظر أيضاً مغازي ابن عائذ ، نقلاً عن ابن حجر (د.ت) : ٧/٨ .

(٤) و ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٣١٨/٣

ناجية بن كعب الخزاعي عيناً في فتح مكة . (ابن حجر ١٣٢٨ هـ : ٣/٥٤٢) [١] لكنْ لم أرَ في كتب المغازي أن أحداً من هذين العينين راجَعَهُ في خبرٍ أو أمرٍ معين .

ووصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العَرْج وأمْرُه خَفيٌّ مُحْكَم لايدري الناس عـن هـدف هذه الغزوة ، هل هو إلى قريش أو إلى هوازن أو إلى ثقيف ، حتى إن بعض الصـحابة رضوان الله عليهم أراد أن يعرف ذلك عن طريق المداعبة والمطارحة الشعرية بـين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يزد على التبسم ،(الواقدي ، د.ت : ٢/ ٨٠٢) . ولـما انضـم بعـض رؤوس الأعـراب مع المسلمين، وسألوا عن الوجهة كانت الإجابة : "حيث يشاء الله" تعالى . (المصدر السابق ٢/٨٠٣).

وبينما كانت العيون والطلائع تقوم بعملها الرقابي بعد تحرك المسلمين من العَرْج قبضوا على رجل استرابوا في أمره ، فاستجوبوه فإذا هو عينلهوازن ، بعثوه ليستخبر لهـم أمـر الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف وجهته ، وجاؤوا به إلى الرسول صلى الله عـليه وسـلم ، فسأله فعرف منه أخبار هوازن وثقيف اللتين تعدان لحربه وأخبار قـريش الـتي أصـيبت بـالخوف والوجـل ، فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر بحبسـه [٢]. ومـن اسـتقراء خبر هذا العين الذي وقع في أيدي الصحابة ظهر دهاؤهم ومعرفتهم بطرق الاستجواب ، وأن العين إذا وقع في يدي عدوه فهو غنيمة باردة ؛ فقد يفضـي بمعـلومات غايـة في الدقـة، لا يمكـن الوصول إليها طمعاً في الحياة ، ونلاحظ الاحتياط في حبس العين، لئلا ينفلت ويحذِّر قومه .

واسـتمر الرسول صلى الله عليه وسلم وجيشه الكبير في الزحف إلى مكة ، مارين بالمـنازل والمـوارد وأَمْـرُهم في إحكـام ، حـتى نـزلوا مَـرَّ الظَّهْران [٣] قريباً من مكة ،

(١) هكذا ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى ، ولم أعثر عليه في مغازي عروة ، ولافي مغازي ابن أبي شيبة

(٢) انظر الخبر مفصلاً في المصدر السابق ٢/٨٠٤-٨٠٦

(٣) مَرٌّ الظهران : أحد أودية الحجاز الكبار يمر شمال مكة على ٢٢ كيلاً منها . البلادي (١٤٠٢هـ) : ٢٨٨ .

والأخبار مُعَمَّاةٌ عن قريش ، لا يدرون ما الرسول فاعل من أجل نقضهم العهد ، ولم يبلغهم خبٌرحتى ولا حرفٌ واحد من مسيره إليهم (ابن الزبير ١٤٠١هـ : ٢٠٩)[١] ، وهذه استجابة طبيعية لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لما أراد غزوهم عندما قال ما معناه : "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها" ، (الواقدي ، د.ت : ٢/٧٩٦)[٢]، وبينما قريش في حيرة من أمرها قد أصابهم الهمُّ والغمُّ والخوف والوجل ، ابن أبي شيبة (١٤٢٠هـ) : ٣٢٠ [٣] اقترحوا على أبي سفيان أن يخرج متجسساً فينظرَ هل يجدُ خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يسمعَ به ، وقالوا له : إن وجدته فخذ لنا منه جواراً أو أماناً ، (الواقدي د.ت : ٢/ ٨١٤)[٤]، وخرج أبو سفيان ومعه حكيم بن حِزام [٥] وبُدَيْل بن ورقاء الخزاعي[٦]، فلما اقتربوا من الوادي مساء ، فوجئوا بنيران المسلمين وعساكرهم ، وما إن بدأوا في حوار ونقاش لمن تكون هذه النيران ؟! وإذا بجريدة من حرس الرسول صلى الله عليه وسلم وطلائعه يقبضون عليهم ، ويأتون بهم إليه ، فظلوا عنده شطراً من الليل يستخبرهم عن أهل مكة ، وأسلم الثلاثة كلهم رضي الله عنهم [٧] ، وفي إثر هذا، وفي اليوم التالي دخل

(١) و الواقدي ، (د.ت) : ٨١٤/٢ ؛ ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٦٠/٤ ؛ ابن أبي شيبة (١٤٢٠هـ) : ٣٢٠ ؛ الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ١٦٥/٦ ؛ القسطلاني (١٤١٢هـ) : ٥٦٧/١ .

(٢) و ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٥٧/٤ ؛ ابن سعد ، (د.ت) : ١٣٤/٢ ؛ البيهقي (١٤٠٥هـ) : ٧/٥ ؛ الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ١٦٤/٦ .

(٣) و القسطلاني (١٤١٢هـ) : ٥٦٧/١ .

(٤) و القسطلاني (١٤١٢هـ) : ٥٦٧ .

(٥) حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي ، ولد في الكعبة ، وهو من مسلمة الفتح ، من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، كان جواداً ، عمي في آخر عمره وتوفي زمن معاوية سنة ٥٤ أو ٥٨ هـ . ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٤٤/٢ .

(٦) بديل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعي ، له دار بمكة ، وكان مواليا للرسول صلى الله عليه وسلم ، شهد معه حنينا وجعله قيّما على السبايا والأموال بالجعرانة بعد الوقعة ، وشهد معه تبوك ، وتوفي قبله . ابن سعد ، (د.ت) : ٤٥٩/٥ ؛ ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٣٥/١ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ١٩٦/١ .

(٧) انظر في قصة خروج أبي سفيان وأصحابه مستخبرين عن الرسول صلى الله عليه وسلم : البخاري (١٤١٧هـ) : ٨٨٠ ؛ الواقدي ، (د.ت) : ٨١٤/٢-٨١٥ ؛ ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٦٠/٦-٦٣ ؛ ابن أبي شيبة (١٤٢٠هـ) : ٣٢٠؛ الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ١٦٥/٦ ؛ القسطلاني (١٤١٢هـ) : ٥٦٧/١ .

المصطفى صلى الله عليه وسلم مكة بغتة كما أراد ، ولم يعد بإمكان قريش إلا الخضوع والاستسلام ، وكل هذا بفضل الله تعالى أولاً ثم بفضل التخطيط السديد من قِبل الرسول صلى الله عليه وسلم في التحكم بالمعلومات وحبسها عن عيون العدو من بداية الغزوة حتى تحقق الهدف .

غزوة حنين [1]

أما غزوة حنين فقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم فيها عينان قام كل منهما بواجب معين ، أما أحدهما فهو عبد الله بن حَدْرَد الأسلمي [2] أمَره صلى الله عليه وسلم أن يدخل في غمار القوم فيقيمَ فيهم حتى يعلمَ علمَهم ، وأوصاه بأن يسمع من زعيمهم، فانطلق ودخل فيهم وطاف واستمع وعلم ووعى ما دبروا وما كادوا ، ثم عاد ليضع الأخبار بين يديه ،(الواقدي ، د.ت : ٢/ ٨٩٣) [3]. ويلاحظ هنا أنه خالطهم ولم يلفت انتباههم ، ولعل ذلك إما لكثرتهم فلا يَعرِفُ بعضهم بعضاً ، أو أنه أطاف بهم ليلاً فستره الظلام ، كما يلاحظ أنه مكث فيهم واستأنى [4] حتى عرف الأخبار على وجه الدقة ، لأنه لابد لعين الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتي بالخبر اليقين .

أما العين الثاني فهو أنس بن أبي مَرثد الغَنَوي [5] تطوَّع من قِبَل نفسه ليقوم

---

(١) كانت الغزوة في شهر شوال سنة ثمان ، أماحنين : فهو واد من أودية مكة يقع شرقيها بقرابة ٣٠ كيلاً ،يسمى اليوم وادي الشرائع . البلادي (١٤٠٢هـ) : ١٠٧ .

(٢) عبد الله بن أبي حدرد (سلامة) بن عمير الأسلمي ، اتفق أهل المعرفة على أن له صحبة، وأول مشاهده الحديبية ثم خيبر ، توفي سنة ٧١هـ ، وعمره ٨١ سنة . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٣/٣ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٥٧٦/٢ .

(٣) و ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ١١٧/٤ ؛ ابن سعد ، (د.ت) : ١٥٠/٢ .

(٤) أي انتظر .

(٥) أنس ويقال (أنيس) بن أبي مرثد (كناز) بن الحصين الغنوي هو وأبوه وجده صحابة ، بينه وبين أبيه عشرون سنة، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنيناً ، وتوفي سنة ٢٠هـ . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٢٠٢/١ ؛ ابن كثير (١٣٩٤هـ) : ١٠٢/٧ .

وحده بحراسة المسلمين، ورَصْد جهة العدو طوال ليلة المعركة ، وكان من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم له أن يلزم علوَّ جبل حدده له ، فلا يفارقه ، وأن يظل على فرسه طوال الليل فلا يَنْزِلْ عنه إلا مصلياً أو قاضيَ حاجة ، وحذَّره من مباغتة العدو له من الخلف ، أو أن يصاب المسلمون من قبَله (أبو داود ، د.ت : ٣ / ٢١) [١] ، وقد وفَّى الرجل وقام بواجبه على أكمل وجه ، ولذلك ورد في الحديث بسند صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشَّره قائلاً ما معناه : قد أوْجَبْتَ ، فلا عليك أن لا تعمل بعدها [٢] ، ولا شك أن هذا يدل على فضل العين الذي يسهر في حراسة المسلمين [٣] .

أما هوازن فقد بعث زعيمهم مالك بن عوف [٤] رجالاً ثلاثة للتجسس على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعطاهم أوامر بالتفرق في المعسكر . لكنه سرعان ما عاد إليه عيونه تخْفِقُ أفئدتهم ، (الواقدي ، د.ت :٢ / ٨٩٢)[٥] قد أخذ منهم الرعبُ كل مأخذ ؛ وذلك أنهم رأوا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلْق !! [٦] ونصحوه بالتراجع عن حرب المسلمين ، فعيَّرهم بالجبن وحبسهم خوفاً من توهين العسكر ، ثم بعث رجلا آخرلهذه المهمة أشجع من سابقيه ، فأصابه ما أصابهم ، ومع ذلك لم ينثن مالك عن وجهه، ومضى في الحرب لأمر يريده الله تعالى [٧] .

ومن الأحداث التي كان للعيون فيها شأن في آخر عصر النبوة سرية علي بن أبي

---

(١) و الواقدي ، (د.ت) : ٨٩٤/٢ .

(٢) المصدران السابقان ؛ ابن حجر (١٣٢٨ هـ) : ٧٣/١ . يقال : أوجبَ الرجلُ ، إذا عمل عملاً يوجب له الجنة أو النار ، الجوهري (١٤١٨هـ) ٢٢٩/١ ، والمقصود هنا وجبت له الجنة .

(٣) ويؤكد هذا ما ورد في الحديث : " عينان لاتمسهما النار ؛ عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله" (الترمذي ، د.ت : ١٧٥/٤) ؛ الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ٢٨٨/٥ .

(٤) مالك بن عوف بن سعد النصري ، أبو علي ، قاد قومه في هذه المعركة وهو ابن ثلاثين سنة ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وشهد القادسية وفتح دمشق . ابن عبد البر (١٤١٥ هـ) : ٤١٢/٣ ؛ ابن الأثير [أبو الحسن] (١٤١٨ هـ) : ٣٢/٤ .

(٥) مغازي الواقدي ٨٩٢/٢ .

(٦) البَلَقُ : سواد وبياض ، يقال : فرس أبلق ، أي فيه هذه الصفة . الجوهري ،(١٤١٨هـ) ١١٠٦/٢ .

(٧) انظر مفصلا ، الواقدي ، (د.ت) : ٨٩٢/٢-٨٩٣ ؛ ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ١١٧/٤ .

طالب رضي الله عنه إلى طيء[1] فقد قبضت طلائعهم وهم في أرض العدو على عينلهم، فـدلّهـم على قومه وأفضى بأخبارهم مفصلة إليهم ، وقصة هذا العين طريقة تحسن مراجعتها في المصادر نظراً لطولها [2] ، ويمكن أن نستنبط منها :

- نباهة الصحابة وشدة حذرهم ، فعلى الرغم من أنهم بعيدون عن بيضة العدو إلا أنهم كانوا يتقصَّون ما حولهم، وينفضونه بطلائعهم .
- إن العين يحرص دائماً على أن يكون خبره عن العدو يقيناً بيِّناً دقيقاً .
- إن العين يُختار غالباً من ذوي الصلابة الأشداء الذين لايهابون .
- إنه يختار من أسرع الناس عدواً ، وممن لايُدرك أسراً .
- إن الله تعالى ينصر عباده الموحدين ببثِّ الرهبة والخوف في قلوب أعدائهم.
- التوثق من العين بحبسه أوتقييده أثناء أداء المهمة .
- اتخاذ العين دليلاً .
- تهديد العين بالقتل إذا شك في أمره .

وفي غـزوة مؤتـة [3] كان من أسباب هزيمة المسلمين فيها سماع العدو بمسيرهم أول ما خرجوا ، فجمعوا الجموع واستعدوا وقدّموا الطلائع أمامهم (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٧٦٠)[4] ، فكان زمام المبادرة بأيديهم .

وهكـذا – مـن خلال هذه الجولة التاريخية – تمَّ استعراض الوقائع الحربية التي

---

(١) خرجت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع ، وجميع أفرادها من الأنصار رضي الله عنهم ، وهدفها هدم صنم طيء ، الذي يدعى (الفلس). انظر عنها الواقدي ، (د.ت) : ٩٨٤/٣ ؛ ابن سعد ، (د.ت) : ١٦٤/٢ ؛ القسطلاني (١٤١٢هـ) : ٦٢٠/١ .

(٢) انظرها مفصلة لدى الواقدي ، (د.ت) : ٩٨٤/٣ وما بعدها .

(٣) كانت في شهر جمادى الأولى سنة ثمان، ومؤتة : بلدة أردنية تقع جنوب الكرك غير بعيدة منها . البلادي (١٤٠٢هـ) :٣٠٤ .

(٤) و ابن سعد ، (د.ت) : ١٢٨/٢-١٢٩ .

كـان لـلعيون والجواسـيس فيهـا أثـر بـارز ، سـلباً أوإيجاباً على الجيوش والسرايا والبعوث أو غيرها ، سواء كان ذلك لصالح من أرسل العين أو ضده .

خزاعة عيون الرسول صلى الله عليه وسلم

إن ممـا يلفت نظر القارئ في موضوع بحثنا مواقف قبيلة خزاعة الموالية للرسول صـلى الله عـليه وسـلم طـوال فترة الصراع التي كانت بينه وبين قبيلة قريش ، فتكاد المصـادر تجمع على حسن العلاقة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم جماعات وأفراداً مسلمين ومشركين [١] دون غيرهم من القبائل الحجازية والتهامية. فتجد مثلاً عند البخاري رحمه الله تعالى " وكانوا عَيْبَةَ نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أهـل تهامـة " ،(الـبخاري ١٤١٧هـ : ٥٤٩)[٢] ، وفي روايـة أخرى عن الزهري " وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشركها لا يخفون عـنه شـيئاً كـان بمكـة " (ابن هشام ١٤٠٩هـ : ٣/ ٤٣٢) [٣] ، ومثل هذا قال عنهم نوفل الدِّيْلي [٤] من بني بكر " هم عيبة نصح محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يخفون عنه شيئاً من أمورنا " (الواقدي ، د.ت : ٢/ ٧٣٠) .

ولعـل هـذه المصافاة والموالاة من جانب خزاعة تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، كـانت بسـبب العلاقـة الحميمة القديمة بينهم وبين عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صـلى الله عـليه وسـلم ؛ فقد أشارت المصادر إلى قيام حلف بينهم وبين عبد المطلب في

(١) يستثنى من ذلك بنو المصطلق قبل إسلامهم .

(٢) معنى عيبة نصح : أي خاصته وأصحاب سره ، بمنزلة العيبة التي يودع فيها الإنسان أحسن ثيابه وأسبابه . شرح أبي ذر الخشني للسيرة (بهامش سيرة ابن هشام) ٤٣٢/٣ ؛ ابن حجر (د.ت) : ٣٣٧/٥ .

(٣) وكانوا يقطنون بين عرفات ومكة ، وبعضهم في مكة نفسها .

(٤) نوفل بن معاوية بن عروة الديلي ، قائد بني بكر في حربهم لخزاعة يوم نقضوا عهد الحديبية ، ثم أسلم يوم الفتح وعاش إلى أول إمارة يزيد بن معاوية ، وكان عمره مائة وعشرين سنة ، روى لـه البخاري ومسلم وغيرهما . الزرقاني (١٤١٤هـ) : ٢٨٩/٢ .

الجاهلية بناء على قرابة ونسب بينهم (ابن حبيب ، ١٤٠٥هـ :٨٦) ، وأكد ذلك عمرو بن سالم الخزاعي في قصيدته التي ألقاها بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة مستنجداً به على بني بكر الذين اعتدوا عليهم بمؤازرة من قريش ، فقال مُذكِّراً بالحلف القديم وبالقرابة :

يا ربِّ إني نَاشدٌ محَمَّدا حِلفَ أبينا وأبيه الأتْلَدا

قدْ كنتمُ وُلْداً وكنَّا وَالِدَا ثُمَّتْ أسْلَمْنا ولَمْ نَنْزع يَدا[1]

ولذلك لما كان صلح الحديبية وفُتحَ باب الدخول فيه لمن أراد من القبائل ، سارعت خزاعة للانضمام إلى صف الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول ابن عمر رضي الله عنه " كانت خزاعة حلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم" (الهيثمي ، د،ت : ١/ ١١٤)[2] .

وقد أثرَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعضُ الأقوال التي تؤيد تلك المعاني السابقة ، مثل قوله : " خزاعة مني وأنا منهم ، خزاعة الوالد والولد " (الديلمي ، ١٩٨٦م : ٢/ ١٩٤)، وقوله : " هؤلاء خزاعة وهم أهلي " (ابن أبي شيبة، ١٤٢٠هـ: ٣٣١) ، وورد في كتاب أرسله إلى بعض سرواتهم في مكة: " .. وإن أكرمَ أهلِ تهامة عليَّ لأنتم ، وأقربَه رحماً " (المصدر السابق : ٣٣٠) [3] ، ومثل قوله : " فإنا لم نجد بتهامة أحداً من ذي رحم ولا بعيد رحم كان أبرَّ بنا من خزاعة " ،(الواقدي ، د.ت : ٢/ ٧٩١). فيُرى من هذه النصوص مدى الصلة والتلاحم بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولاشك أن عصبية القرابات والأحلاف كان لها أثرها الفاعل في نفوس القوم في تلك المرحلة ، وقد برهن أفراد قبيلة خزاعة في مواقفهم التي رأينا طرفاً منها

---

(١) الأتلدا : أي القديم . ابن هشام (١٤٠٩هـ) : ٥٢/٤ .
(٢) و (ابن حبان ، د.ت ٣٤٠/١٣) .
(٣) و الهيثمي (١٤٠٨هـ) : ١٧٢/٨ .

على صادق مودتهم وولائهم للرسول صلى الله عليه وسلم من خلال تزويده بأخبار قريش وغيرهم ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم وثق بهم واستنصحهم فاتخذهم عيوناً له وموضعاً لسره .

الخاتمة

كشفَ البحثُ أنه بَدَأَ استخدامُ العيونِ ، وحَجبُ المعلومات بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش منذ زمن مبكر من قيام الدعوة ؛ وذلك في مرحلتها المكية وقبل مرحلة الجهاد المسلح . وأنه في بيعة العقبة الثانية استخدمت العيون على العيون . وأنه عندما يبالغ الأعداء في التَّخَفي عند رسم الخطط التي تشكل خطراً على الدعوة يأتي الخبر من السماء لكشفها ،وكذا عندما يتم تدبيرٌ قد يؤثر في مسيرتها . و أن هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها كانت غاية في التنظيم والإحكام فعجزت قريش بوسائلها المختلفة وإغراءاتها ومؤيديها عن كشفها . وأنه بعد الانتقال إلى المهاجَر الجديد وبدء مرحلة الجهاد نَشَطَ استخدامُ العيون من جميع الأطراف ، لكن تحركات الرسول صلى الله عليه وسلم بالذات كانت غالباً تحاط بالسرية والكتمان .

وأُكِّدَ على أن استخدام العيون في الغزوات الكبرى كان مُكَثَّفاً وملحوظاً، خاصة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومما أجلى البحث استناداً إلى رواية صحيحة – وهو ما لم يكن ظاهراً عند أهل المغازي والسير – أن نَدْبَهُ المسلمين إلى غزوة بدر كان بعد تحرٍّ دقيق عن قافلة قريش من خلال عين أرسله وحده، فجاء بالخبر إليه وهو في المدينة ولم يكن عنده سوى راوي الحديث . وأبرز البحث حالات تم فيها قتل العيون عند اكتشافهم من قبل أعدائهم، سواء من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم أو من الأطراف الأخرى . وأظهر دقة الرسول صلى الله عليه وسلم في اختيار الأشخاص

الذين يرسلهم عيوناً، مما يدل على معرفة متينة بمواهب الرجال . وبرز ذلك من خلال التصرف الأمثل لأولئك العيون في المواطن الحرجة . وأمرٌ آخر وهوأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكتفي بخبر عين واحد ، وإنما كان يتابع إرسال العيون، وليس ذلك عن شك ، وإنما للاستفادة من مختلف القدرات في الحصول على أكبر قدر من المعلومات ومزيد من التفصيلات . وأبرز البحث مدى التزام المسلمين بالوفاء بالوعود والعهود عندما يمنحونها لأحد من عيون العدو ، فكانوا يؤمِّنونهم ويطلقون سراحهم إذا ما شرطوالهم ذلك مقابل إطلاعهم على العورات . وأنه كان في غزوة الحديبية لعيون قريش تنظيم دقيق لسرعة توصيل الأخبار ، وأثر كبير في المسارعة إلى عقد الصلح مع المسلمين . وأن خطة الرسول صلى الله عليه وسلم الأساس لفتح مكة كانت معتمدة على حبس الأخبار عن العدو، والتمويه على الهدف الرئيس، حتى فَجَأَهم بغتة وهم لا يشعرون . وأبانَ البحثُ عن مزايا عيون الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كالدقة في استيعاب الأخبار ، والقدرة على التحمل والصبر ، وسهر الليالي في مراقبة العدو ، ودقة الالتزام بأمره تنفيذاً ، وعدمَ تَعَدٍّ .

ثم عُرِّج أخيراً على مواقف قبيلة خزاعة الموالية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأشير إلى الثقة المتبادلة بين الطرفين .

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير ، علي بن محمد ، أبو الحسن [ت٦٣٠ هـ] ، (١٤١٨هـ) .أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق :خليل شيحا ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار المعرفة .

٢. ابن الأثير ، المبارك بن محمد ، أبو السعادات [ت٦٠٦هـ] ، (١٤١٨هـ) . النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق:صلاح بن عويضة ، الطبعة الأولى .بيروت : دار الكتب العلمية.

٣. أحمد ، مهدي رزق الله ، (١٤١٢هـ) . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، الطبعة

الأولى . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٤. البخاري ، إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ، أبو عبد الله [ت ٢٥٦هـ] ، (د.ت) . التاريخ الكبير . بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية.

٥. (١٤١٧هـ) . صحيح البخاري ، باهتمام : عبد الملك مجاهد ، الطبعة الأولى . الرياض : دار السلام.

٦. البلادي ، عاتق بن غيث ، (١٤٠٢هـ) . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. الطبعة الأولى . مكة المشرفة : دار مكة.

٧. البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين [ت ٤٥٨ هـ] ، (١٤٠٥هـ) .دلائل النبوة ، تحقيق:عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، بيروت :دار الكتب العلمية .

٨. الترمذي ، الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة [ت٢٧٩ هـ] ، (د.ت) . سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر . بيروت : دار إحياء التراث العربي.

٩. ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج [ت ٥٩٧هـ] ، (١٣٨٩هـ) .صفة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري . الطبعة الأولى . حلب : دار الوعي .

١٠. الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، أبو نصر [ت٤٠٠ هـ] ، (١٤١٨هـ) . تاج اللغة وصحاح العربية ، المسمى الصحاح ، تحقيق شهاب عمرو ، الطبعة الأولى . بيروت : دار الفكر.

١١. ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد ، أبو حاتم التميمي البستي [ت٣٥٤ هـ] ،(١٣٩٣هـ) . الثقات ، الطبعة الأولى . حيدر آباد الدكن : مجلس دائرة المعارف العثمانية

١٢. (د.ت) . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ،مراجعة : شعيب الأرنؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

١٣. ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي [ت ٢٤٥ هـ] ، (١٤٠٥هـ) . المنمق ، تحقيق : خورشيد أحمد ، الطبعة الأولى ، بيروت ، عالم الكتب.

١٤. ابن حجر ، الحافظ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني [ت ٨٥٢ هـ] ، (١٣٢٨هـ) . الإصابة في تمييز الصحابة ، تصويراً عن الطبعة المصرية الأولى، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.

١٥. (د.ت) . فتح الباري ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ، بيروت دار المعرفة.

١٦. الحلبي ، علي بن برهان الدين [ت ١٠٤٤هـ] ، (١٤٠٠هـ) . السيرة الحلبية . بيروت : دار المعرفة.

١٧. الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، أبو عبد الله [ت ٦٢٦ هـ] ، (د.ت) . معجم البلدان . بيروت : دار صادر ، دار بيروت.

١٨. الخزاعي ، علي بن محمد [٨٩٧هـ] ، (١٤٠١هـ) . تخريج الدلالات السمعية،تحقيق : أحمد أبوسلامة . القاهرة : وزارة الأوقاف المصرية.

١٩. أبو داود ، سليمان بن الأشعث [٢٧٥هـ] ، (د.ت) . سنن أبي داود . اسطنبول : دار الدعوة.

٢٠. الديلمي شيرويه بن شهر دار [ت ٥٠٩ هـ] ، (١٩٨٦م) . الفردوس بمأثور الخطاب ، تحقيق : السعيد زغلول ، الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية.

٢١. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان [ت ٧٤٨ هـ] ، (١٤٠٧هـ) . تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتاب العربي.

٢٢. (د.ت) . تجريد أسماء الصحابة . بيروت : دار المعرفة.

٢٣. (١٤٠٢هـ) .سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيقه :شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية . بيروت : مؤسسة الرسالة.

٢٤. الزبيدي ، محمد مرتضى ، أبو الفيض الحسيني [ت ١٢٠٥ هـ]، (١٤١٤هـ) . تاج العروس ، تحقيق : علي شيري . بيروت : دار الفكر.

٢٥. ابن الزبير ، عروة بن الزبير بن العوام [ت ٩٣ هـ] ، (١٤٠١هـ) . مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع وتحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الأولى . الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٢٦. الزبيري ، المصعب بن عبد الله بن المصعب [ت ٢٣٦هـ] ، (١٩٧٦م) . نسب قريش ، تحقيق : إ. ليفي بروفنسال . الطبعة الثانية . القاهرة : دار المعارف.

٢٧. الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي [ت ١١٢٢ هـ] ، (١٤١٤هـ) . شرح المواهب اللدنية . بيروت : دار المعرفة.

٢٨. الزهـري ،محمـد بـن مسـلم بـن عبيد الله بن شهاب [ت ١٢٤هـ] ، (١٤٠١هـ) . المغازي النبوية ، تحقيق : سهيل زكار . دمشق : دار الفكر.

٢٩. السرخسـي ، محمـد بن أحمد بن سهل [ت حوالي ٤٨٣ هـ] ، (١٣٩١هـ) . شرح السير الكبير ، تحقيق : صلاح الدين المنجد . القاهرة : معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

٣٠. ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ، أبو عبد الله الزهري [ت ٢٣٠ هـ] ، (د.ت) . الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر .

٣١. ابـن سـيده، علـي بـن إسمـاعيل [ت ٤٥٨هـ] ، (١٤٢١هـ) . المحكم،تحقيق : عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية.

٣٢. الشـيباني ، أحمـد بـن حنـبل [ت ٢٤١ هـ] ، (١٤٠٣هـ) . فضائل الصحابة (تحقيق : وصـي بـن محمـد عـباس ، الطـبعة الأولى .مكـة المشرفة : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

٣٣. (١٤١٩ هـ) . مسند الإمام أحمد ، الطبعة الأولى ، الرياض : بيت الأفكار الدولية.

٣٤. ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد [ت ٢٣٥هـ] ، (١٤٢٠ هـ) كتاب المغازي ، تحقيق : عبد العزيز العمري ،الطبعة الأولى. الرياض : دار إشبيليا.

٣٥. الصـالحي ، محمـد بن يوسف الشامي [ت٩٤٢ هـ] ، (١٤١٤هـ) . سبل الهدى والرشاد ، تحقيق : عادل الموجود وزميله ، الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية.

٣٦. الصـفدي ، صـلاح الديـن خـليل بـن أيبك [ت ٧٦٤ هـ] ، (١٣٩١هـ) . الوافي بالوفيات ، تحقيق : محمد يوسف نجم . فيسبادن : دار فرانز شتاينر.

٣٧. الطبري ، محمد بن جرير ، أبو جعفر [ت ٣١٠ هـ] ، (١٩٧٦م) . تاريخ الطبري ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية . القاهرة : دار المعارف.

٣٨. ابـن عـبد الـبر ، يوسـف بـن عـبد الله الـنمري القـرطبي [ت ٤٦٣هـ]، (١٤١٥هـ) . الاستيعاب، تحقيق : علي معوض وزميله ، الطبعة الأولى . ، بيروت : دار الكتب العلمية.

٣٩. (١٤٠٣هـ) .الدرر تحقيق : شوقي ضيف ، الطبعة الثانية . القاهرة : دار المعارف.

٤٠. ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله [ت ٥٧١ هـ] ،(١٤١٥هـ). تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق عمر بن غرامة العمروي ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الفكر.

٤١. العـودة ، سـليمان بن حمد (١٤٢٠هـ) . "مرويات إسلام العباس رضي الله عنه" ، مجلة جامعـة الإمـام محمـد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢٧ ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٤٢. الفـراهيدي ، الخـليل بـن أحمد [ت ١٧٥هـ] ، (١٣٨٦هـ) . كتاب العين ، تحقيق : عبد الله درويش . بغداد : المجمع العلمي العراقي.

٤٣. ابن قانع ، عبد الباقي ، أبو الحسين [ت٣٥١هـ] ، (١٤١٨هـ) . معجم الصحابة ، تحقيق : حمدي الدمرداش ، الطبعة الأولى . مكة المشرفة : مكتبة نزار الباز.

٤٤. القسـطلاني ، أحمـد بـن محمـد [ت ٩٢٣ هـ] ، (١٤١٢ هـ) . المواهب اللدنية ، تحقيق : صالح الشامي، الطبعة الأولى . دمشق : المكتب الإسلامي.

٤٥. القشـيري ، مسـلم بـن الحجاج النيسابوري [ت ٢٦١ هـ] ، (١٤١٩هـ) . صحيح مسلم ، الطبعة الأولى . الرياض : دار السلام.

٤٦. ابـن القيـم ، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي [ت ٧٥١ هـ] ، (١٤٠٧هـ) . زاد المعاد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وزميله، الطبعة الرابعة عشرة، بيروت : مؤسسة الرسالة.

٤٧. الكـتاني ، عـبد الحـي بـن عـبد الكبير (د.ت) . نظام الحكومة النبوية المعروف بـ التراتيب الإدارية . بيروت : دار الكتاب العربي.

٤٨. ابـن كـثير ، إسمـاعيل بـن كثير ، أبو الفداء الدمشقي [ت ٧٧٤ هـ] ، (١٣٩٤هـ) . البداية والنهاية . الطبعة الثانية . بيروت : مكتبة المعارف.

٤٩. (د.ت) . السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد . بيروت : دار المعرفة

٥٠. المحـب الطـبري ، أحمد [ت ٦٩٤هـ] ، (د.ت) . الرياض النضرة ، تحقيق : محمد مصطفى أبو العلا . القاهرة : مكتبة الجندي.

٥١. ابـن مـنظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري [ت ٧١١ هـ] ، (١٤١٤هـ) . لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، بيروت : دار صادر.

٥٢. أبـو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني [ت ٤٣٠هـ] ، (د.ت) . دلائل النبوة . بيروت : دار المعرفة.

٥٣. النووي ، يحيى بن شرف بن مُري الحوراني [ت ٦٧٦ هـ] ، (د.ت) . شرح صحيح مسلم،

بحاشية إرشاد الساري . بيروت : دار الفكر .

٥٤. الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني (د.ت) . مختصر سياسة الحروب ، تحقيق : عبد الرؤوف عون .القاهرة : المؤسسة المصرية العامة.

٥٥. ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب [ت ٢١٨ هـ] ، (١٤٠٩هـ) . السيرة النبوية ، تحقيق : همام سعيد وزميله ، الطبعة الأولى ، الزرقاء . الأردن : مكتبة المنار.

٥٦. الهيثمي ، علي بن أبي بكر [ت ٨٠٧ هـ] ، (١٤٠٧هـ) . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،دار الريان للتراث . بيروت : دار الكتاب العربي .

٥٧. (د.ت) .موارد الظمآن ، تحقيق : محمد حمزة .بيروت : دار الكتب العلمية.

٥٨. الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد [ت ٢٠٧ هـ] ، (د.ت) . المغازي ، تحقيق : مارسدن جونز . بيروت : عالم الكتب.